جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

القوقاز بين الفتح الإسلامي وتصدّي القوى غير الإسلامية له من (١٧هـ/ ١٣٢هـ) (٦٣٩م / ٧٥٠م)

إعـــــداد

الدكتور/ سعيد عبد الجواد أبو زيد

مدرس التاريخ والحضارة الإسلامية كلية اللغة العربية بإيتاي البارود

العدد السادس عشر

للعام ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م

الجزء الثالث

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٦٩٤٠/ ٢٠١٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد اللهم صلِّ عليه وعلى آله وأصحابه، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين. وبعد،،،

اتجهت كثير من الدراسات التاريخية بعد سقوط الاتحاد السوفيتي السابق إلى الاهتمام بدراسة أحوال البلاد الإسلامية المنحلَّة عنه، في محاولة للتعرف على تاريخها الماضي، ودخول الإسلام إليها، وكيف كانت استجابة أهالي هذه البلاد للإسلام؟

وخاصة وقد كانت تمثل أهمية كبيرة للدولة الإسلامية ؛ إذ إنها كانت من الأقاليم الحدودية، وقد اخترت من هذه الأقاليم «إقليم القوقاز»، والهدف من هذا البحث توضيح كيف فتح المسلمون هذا الإقليم ؟ والصعوبات التي صادفتهم وواجهتهم، وكيف انتشر الإسلام في هذه البلاد ؟ وكان لأهلها نصيب في حضارة الإسلام وفتوحاته.

ومما دفعني إلى اختيار هذا الموضوع أن منطقة القوقاز من المناطق الحدودية بين الدولة الإسلامية، وبين حدود الدولة البيزنطية، هذا العدو القديم الذي انتزعت منه الدولة الإسلامية كثيرًا من ممتلكاته في بلاد الشام ومصر وبلاد المغرب ؛ ولذلك عملت هذه الدولة البيزنطية على محاربة المسلمين في هذه المنطقة والتصدي لهم، ودبروا للقضاء عليهم بالتضامن والتحالف مع الأرمن تارة، ومع مملكة الخزر تارة أخرى.

ومما دفعني أيضًا لدراسة هذا الموضوع أن ما لدينا من دراسات تاريخية عن هذه المناطق، ومنها منطقة القوقاز يعد قليلا، إذا ما قورن بغيرها من المناطق التي أخذت اهتمام جُلّ الباحثين، وقلة الدراسات التاريخية عن هذه البلاد قد يرجع إلى بعدها عن مركز الخلافة الإسلامية، سواء في عهد الأمويِّين أو العباسيِّين.

والعنوان الذي اخترته لهذا البحث «القوقاز بين الفتح الإسلامي وتصدي القوي غير الإسلامية له».

ـ أما عن خطة البحث فقد قسمته إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة.

تحدثت في المقدمة عن سبب اختيار هذا الموضوع، والهدف الذي يهدف إليه البحث.

وتناولت في الفصل الأول: التعريف ببلاد القوقاز من حيث الموقع الجغرافي لها، والحدود الطبيعية، والتقسيم الإداري لبلاد القوقاز، والإشارة إلى أهم المدن وسكان البلاد، واختلاف أجناسهم.

أما الفصل الثاني: وعنوانه «فتح بلاد القوقاز في عهد الخلفاء الراشدين» «الفتوحات الإسلامية لبلاد القوقاز في عهد الخلفاء الراشدين» ألقيت الضوء فيه على الفتح الإسلامي لهذه البلاد، والتي بدأت في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، بعد سقوط بلاد الشام والعراق في أيدي المسلمين، فكانت بلاد القوقاز هي الامتداد الطبيعي لحماية الفتوحات السابقة، وللقضاء على الفلول الهاربة من القوات الفارسية نحو هذه المناطق، بالإضافة للتصدي لخطر البيزنطيين، الذين لا يطمئنون للوجود الإسلامي بهذه البلاد، ثم تكلمت عن الفتح الإسلامي في عهد أمير المؤمنين عثمان بن عفان، والسياسة التي اتَّبعها الولاة والقادة مع أهالي هذه البلاد، ثم بيَّنت أثر الفتنة الكبرى على سير الحركة الفتح، ثم بيَّنت أن حركة الفتوحات توقفت تمامًا في عهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ؛ لانشغال الدولة بخلافاتها الداخلية ؛ مما شغلها عن سير الأحداث ؛ مما أعطى الفرصة لتلك القوى المعادية للإسلام من السيطرة على هذه البلاد والثورة على المسلمين.

أما الفصل الثالث: وعنوانه «الفتوحات الإسلامية لبلاد القوقاز في عهد الأمويِّين».

فتكلمت فيه عن الجهود المضنية العظيمة التي بذلها الأمويُّون للسيطرة على هذه البلاد مرة ثانية، والقضاء والتصدي لهذه الأخطار، والسياسة التي اتبعها معاوية بن أبي سفيان لإدارة الأحداث في هذه البلاد، ومرورًا بعبد الملك بن مروان، بعد أن ضعف اهتمام الدولة في عهد يزيد بن معاوية لانشغالها بالثورات الداخلية.

كما أوضحت مدى تعاون هذه القوى غير الإسلامية، والمعادية للمسلمين في تحالفهم لإخراج هذه البلاد من سيطرة المسلمين، وبالرغم من نجاحهم في بعض الأوقات إلا أن جهود القادة الأمويِّين الصادقة في مقاومتهم، والقضاء على هذه التحالفات بين مملكة الخزر والبيزنطيين تارة، وبين الأرمن وسكان البلاد

والبيزنطيين تارة أخرى، كان لها أكبر الأثر في بقائها تحت الحكم الإسلامي، ولا شك أن كل هذا جعل ولاة القوقاز من الأمويِّين أمثال مسلمة بن عبد الملك ومروان بن محمد وغيرهما على وعي تام بما يدار للمسلمين من هذه القوى المعادية، الأمر الذي جعلهم يبذلون جهودًا صادقة في مقاومتهم والقضاء على هذه التحالفات، واستخدام سياسة الشدة تارةً، واللين تارةً أخرى مع شعوب هذه البلاد.

وقد ظلت قبضة الأمويِّين على هذه البلاد قويةً حتى كانت رايات العباسيِّين تزحف نحو بلاد الشام، للقضاء على دولة الأمويِّين فكانت بلاد القوقاز وغيرها من ضمن البلاد التي وقعت في حوزة العباسيِّين، وأصبح للعباسيِّين السيطرة التامة على هذه البلاد.

فجزى الله الأمويِّين خير الجزاء على ما بذلوه وقدموه، وما قاموا به من تضحيات للحفاظ على إسلام هذه البلاد، وحمايتها من الكفر والإلحاد، الأمر الذي جعل كثير من أهالي هذه البلاد يقوم بدوره هو الآخر، فظهر منهم الكثير من العلماء، والدعاة، والصالحين، والقادة لرفع راية الإسلام بعد ذلك، فجزى الله الفاتحين عنا وعن أهالي هذه البلاد خير الجزاء.

وأنهيت هذا البحث بخاتمة أوضحت فيها أبرز ما توصلت إليه من نتائج.

وهذا وأحمد الله تعالى العلي القدير، وأشكره على ما منَّ به عليّ من نعمةٍ وفضل، وأشكر كل من قدَّم إليّ نصحًا صادقًا، أو معونةً خالصةً من أساتذتي الأفاضل وإخواني الكرام ، جزاهم الله عنِّي خير الجزاء.

وأملي أن يسدّ هذا البحث فراغًا في مكتبتنا التاريخية، فإن أصبت فما توفيقي إلا بالله، وإن كان غير ذلك فحسبي أني بذلت جهدي.

والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل.

د/سعيد عبد الجواد أبو زيد

الفصل الأول

التعريف ببلاد القوقاز

- الموقع الجغرافي.
- أهم المدن.
- سكان البلاد

الموقع الجغرافي لإقليم القوقاز

إقليم القوقاز مجموعة من المرتفعات والمنخفضات نشأت أصلا في منخفض ضخم من سطح الأرض يعرف بالمنخفض الألبي.

وهذا المنخفض تعرض لمحركات القشرة الأرضية مكونا من بعض أجزاء هذا المنخفض الإلتواءات الضخمة التي كونت مرتفعات القوقاز العظمي والتي تنتهي جنوبا بالحدود السياسية الجنوبية للإتحاد السوفيتي السابق مع إيران وتركيا. ثم مجموعة المنخفضات إلي شمال هذه المرتفعات،إلي غربها وشمالها الغربي وإلي شرقها، وإلي جنوب مرتفعات القوقاز العظمي أيضا، والتي تبلغ مساحتها جميعا ٤٤٠٠٠٠ كم٢ [١].

ويجب التفريق بين حدود إقليم القوقاز قديما وحديثا، فحدود الإقليم القديمة هي التي تعارف عليها الجغرافيون العرب الأوائل، والتي ظلت قائمة حتي نهاية العصور الوسطي، أما الحدود الحديثة فنعني بها تلك الحدود الجديدة التي خلفها الإستعمار الذي تعاقب علي تلك المنطقة حتى العصر الحديث، فقد أوجد علي نفس الأرض واقعا جديدا، فأقام دولا ومحا أخري من الخريطة وأختزل أخري في مساحات ضيقة، فمثلا أرمينية الكبري تم توزيعها بين إيران وتركيا والاتحاد السوفيتي السابق، وأذربيجان تم اقتطاع أجزاء كبيرة منها وتمت إضافتها لإيران، واختزالها في مساحة ضيقة، و تم تغيير كثير من ملامح هذا الإقليم بتغيير معظم أسماء ومسميات العوارض الطبيعية الموجودة بالإقليم، لفصل جذور هذا الإقليم عن أصله وتاريخه.

(١) مصطفي دسوقي كسبة: المسلمون في آسيا الوسطى والقوقاز ــ القاهرة ــ مجلة الأزهر ١٤١٤هـ ــ صـ٥٣، ٥٤.

فتمتد حدود إقليم القوقاز[١] من بحر الخزر ــ قزوين ــ[٢] وبلاد الخــزر[٣] شرقا، إلي البحر الأسود ــ بنطس ــ[٤]، وحــدود بيزنطــة غربــا، ومــن بــلاد الروس[٥] والصقالبة[٦] شمالا، إلي حدود

---

(١) القوقاز : اختلف المؤرخون الجغرافيون حول تسمية القوقاز، فسماها الحموي القبق واتفــق معه البغدادي في كتابه المراصد، في حين سماها المسعودي القبج، وأطلق عليها حديثا اســم القوقاس أو القوقاز، أو القفقاس. انظر : الحموي: شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبــد الله الحموي ت ٦٢٦هــ، معجم البلدان، دار صادر، بيروت ج ٧ / ٢٨، البغدادي: صــفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي ت ٧٣٩هــ، مراصد الإطلاع في ذكــر الأزمنــة والبقاع، ج ١٠٦/١، المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسن بن علي ت ٣٤٦هـــ/ ٩٤٥م، مروج الذهب، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ــ بيروت ــ المكتبــة الإســلامية ١ / ٢٠٥، جوناتوقة يوسف عزت باشا، تاريخ القوقاس، تعريب خوستوفه عبد الحميد غالــب ــ القاهرة ــ مطبعة عيسى الحلبي ١٣٥٢هــ / ١٩٣٣م، صــ١١

(٢) بحرالخزر (قزوين) : يقع هذا البحر شرق إقليم القوقاز ويسمي أحيانا بحر الخزر نســبة إلي امه الخزر الذين يحيطون به من الشمال – ابن حوقل: أبو القاسم بن حوقل النصــيبي، صورة الأرض، الطبعة الثانية ــ طبعة ليدن ١٩٣٩م، ج٣٣١/٢، ٤٩٥

(٣) كانت بلاد الخزر تشتمل علي أمة كبيرة، و كانت هذه الأمة كثيرا ما تغير علي الإقليم مــن ناحية الشمال ولذا قام أنوشروان ببناء مدينة الباب لمنعهم وكانت اهم مدن الخزر هي مــدن إتل والبلنجر. انظر الإصطخري: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفاسي الاصطخري الكرخي، المسالك والممالك، القاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي صــ ١٠٨، المســعودي: أبــو الحسن علي بن الحسن بن علي، الإشراف والتنبيه، طبعة ليدن،ص ٦٠، القزويني: زكريــا بن محمد بن محمود القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، القاهرة ــ المكتبة التجارية ١٩٥٤م صــ١٨٣، ١٩١.

(٤) البحر الأسود : يقع غرب منطقة القوقاز، وكان يسمي قديما بنطس، وهو متصل ببحر الشام (البحر المتوسط). أنظر الاصطخري، المسالك والممالك، ص ١١١، المقدسي: شمس الدين ابي عبد الله بن محمد بن أبي بكر المقدسي البشاري، أحسن التقاسيم في معرفة الأقــاليم ــ الطبعة الثانية ــ ليدن ١٩٠٩م، ص ٣٧٦، البغدادي، مراصد الإطلاع، ٢٢٥/١

(٥) بلاد الروس : تقع إلي الشمال الغربي من إقليم القوقاز، ويحيط بها من الجنوب بلاد اللــلان والكرج، ومن الشرق بلاد الخزر. أنظر : اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي ت ٢٨٤هــ، تاريخ اليعقوبي، بيروت، دار بيروت للطباعــة ١٩٨٠م، ج١ / ١٧٨، المسعودي، مروج الذهب، ١ / ٣٠٢، محمد أمين الخانجي، منجم العمران في المستدرك على معجم البلدان ــ الطبعة الأولى ١٩٠٧م، صــ١٧٦.

(٦) الصقالبة : تقع إلي الشالمن منطقة القوقاز عند منحدرات جبال القوقاز ومصب نهر الصقالبة (الفولجا الآن) ويتكون الصقالبة من عدد من الأجناس من الكرج والروس والترك والأرمن. المسعودي، مروج الذهب، ١ / ١٧٦، خانجي، منجم العمران، ص ٢١٩.

الجزيرة[١] وديار ربيعة[٢] جنوبا، وتتميز هذه المنطقة بطبيعتها الجبلية الوعرة، لوجود مرتفعات جبال القوقاز، كما أنها تتميز بالتنوع والغزارة في السلالات والأعراق البشرية الموجودة بها، مما جعلها بوتقة انصهرت بها هذه الأعراق والسلالات البشرية والديانات السماوية وغير السماوية، وأهم ما تميزت به أيضا العوارض والمظاهر الطبيعية الكثيرة الموجودة بها، مثل البحيرات والبحار والجبال والأنهار[٣].

التقسيم الإداري لبلاد القوقاز:

إن طبيعة القوقاز بجبالها الشاهقة ووديانها العميقة ومضايقها وممراتها الضيقة وشعوبها وقبائلها العديدة التي تختلف عن بعضها من ناحية أصولها العرقية واللغوية ومعتقداتها الدينية وتقاليدها وعاداتها، استدعت تقسيم القوقاز إلي مقاطعات إدارية منفصلة في مختلف العصور لا سيما أنه تعاقب علي هذه المنطقة أنواع شتي من حكم اليونان والرومان والعرب والتتار والفرس والأتراك وأخيرا الإحتلال الروسي، وعليه فقد اختلفت التقسيمات الإدارية للقوقاز باختلاف العصور التي مرت عليها ونوع الحكم الذي فرض عليها، وإننا سوف نفصل التقسيمات الإدارية والموقع الجغرافي لمناطق القوقاز قبيل الفتح الإسلامي، ثم نعطي نبذة عن التقسيم الإداري والموقع الجغرافي الحديث للإقليم، مع الأخذ في الاعتبار اختلاف الأسماء والمسميات للمدن والأنهار والبحار والبحيرات في كل عصر وحكم مر علي هذه المنطقة، فقد حرصت كل إمبراطورية أو دولة آل إليها حكم هذا الإقليم علي صبغه بهوية عرقية ودينية ولغوية تناسب هويتها وقوميتها، وليس أدل علي ذلك مما قام به القياصرة ثم البلاشفة وأخيرا الروس

(١) الجزيرة : هي التي بين دجلة والفرات – الحموي : معجم البلدان، ٣/ ٩٦.
(٢) ديار ربيعة : تقع بين الموصل ونصيبين والخابور وربما جمع ديار بكر مع ديار ربيعة وإنما سميت ربيعة لأنهم كلهم ربيعة. انظر : الحموي : معجمن البلدان – جـ ٤ ص ١١٧.
(٣) ابن الوردي: سراج الدين أبو حفص عمر بن الوردي، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، القاهرة ــ مطبعة مصطفى الحلبي ١٩٣٩م، صـ٩٦، ابن رسته، ألأعلاق النفيسة، ص ٨٩ – ٩٠.

من تغيير جذري لهذه المنطقة من تغيير للهوية واللغة والدين وتحريف للتاريخ، بل وتغيير في التركيبة العرقية والسكانية للإقليم.

فقد كان لتنوع الأعراق والسلالات في منطقة القوقاز دوره في صياغة تاريخ المنطقة قديما وحديثا، كما أن وقوع هذا الإقليم جغرافيا بين عدد من الدول القوية مثل الإمبراطورية الفارسية والإمبراطورية البيزنطية ثم الدولة الإسلامية، وتنافست هذه الدول فيما بينها للسيطرة علي هذا الإقليم واقتطاع أجزاء منه نظرا لأهميته الحربية وكونه إقليم حدود لهذه الدول، وأدي هذا الصراع بين الدول العظمي علي إقليم القوقاز إلي تقطيع أوصاله وظهور قبائل ودول منعزلة عن بعضها البعض ومتصارعة فيما بينها(١).

ويتكون إقليم القوقاز بصفة أساسية من جزئين رئيسيين، ألأول منها هو القوقاز الأسيوي أو جنوب القوقاز، والثاني هو القوقاز الأوربي أو جمهوريات شمال القوقاز، ونفصلها علي النحو التالي:

أولا: القوقاز الأسيوي أو جنوب القوقاز:

ويشمل أرمينية وأذربيجان وأران، وقديما كانت هذه المنطقة تسمي إقليم الرحاب، وكلمة الرحاب اصطلاح جغرافي أطلقه المقدسي علي احدي بقاع العالم الإسلامي في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، وهي المنطقة التي تضم أرمينية وأذربيجان وأران(٢).

(١) ابن الوردي، خريدة العجائب، ص ٩٦، ١٣٧، ١٤٠، ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ص ٩٠، دونالد ولبر، إيران ماضيها وحاضرها، ترجمة: عبد المنعم إبراهيم الشواربي ــ القاهرة ــ مطبعة مصر ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م، صـ٢٨، صابر محمد دياب، أرمينية من الفتح الإسلامي إلي مستهل القرن الخامس الهجري، القاهرة ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٧م، صـ٩٠.

(٢) المقدسي : أحسن التقاسيم، طـ٢، طبعة ليدن، ١٩٠٩م، ص ٣٧٣ ؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ٣٣١/٢.

ويعتبر هذا الإقليم امتداداً طبيعيا نحو الشمال لإقليم الجبال[١] وديار ربيعة حيث توجد أذربيجان في الشرق وأرمينية و في الغرب وأران في الشمال وتطل أذربيجان وأران علي بحر قزوين.

وإقليم الرحاب ككل يجاور بيزنطة من الغرب وقسم من الجزيرة ويحدها من الشرق بلاد الديلم وجيلان[٢] وبحر قزوين ومن الجنوب إقليم الجبال والعراق ومن الشمال أمة الخزر، وأمة اللان[٣] التي كانت توجد شمال الإقليم[٤].

أرمينية:

كان اسم أرمينية[٥] قديما يدل علي أوسط البقاع وأكثرها ارتفاعا من المنطقة الجبلية الواقعة في غرب آسيا التي تحد غربا بآسيا الصغرى وشرقا بهضبة أذربيجان ويجاور أرمينية من الشمال أران ومن الجنوب السهل الشمالي الغربي من بلاد مابين النهرين أو بلاد الجزيرة ومن الشرق يحدها أذربيجان ومن الغرب

---

(١) إقليم الجبال : جمع جبل وهي ما بين أصبهان إلي زنجان وقزوين . الحموي، معجم البلدان: ٣/ ٤٤، مصطفى دسوقي كسبة: مرجع سبق ذكره صـ٥٣، ٥٨.

(٢) الديلم وجيلان : الديلم تعني الموت للأعداء وهي من قري أصبهان بالقرب من جيلان – واسم جيلان لبلاد كثيرة فيما وراء طبرستان – الحموي : معجم البلدان، ٣/ ١٩٤.

(٣) يذكر أن الإقليم في الوقت الحاضر يضم عددا من الدول وهي : أذربيجان وأرمينية وجورجيا ومجموعة دول القوقاس ويشمل :– الشيشان وانجوشيا والداغستان وأوستيا الشماليه وتقع في جنوب روسيا ، انظر : جونا توقه : تاريخ القوقاس، صـ ١١.

(٤) المسعودي، مروج الذهب، جـ ١ صـ١٧٨، ابن الوردي : خريدة العجائب، صـ٥١.

(٥) أرمينية : اختلف المؤرخون في تحديد أرمينية، فقد ذكرها ياقوت الحموي أنها أرمينيتان الكبري وتضم من الفرات غربا إلي نهر الكر شرقا والصغري تشمل الإقليم الواقع بين الفرات ومنابع نهر الرس ويطلق علي أخلاط وما حولها، في حين الصغري تفليس وما حولها ويري ابن حوقل أرمينيتان داخلة وتشمل بلاد دبيل والخارجة وتشمل ما حول بحيرة أرجيش واتفق المقدسي والإصطخري والمؤيد مع ابن حوقل في هذا الراي وهذا ما يطمئن اليه الباحث لأنه التقسيم الطبيعي، والجغرافيون العرب عند تناولهم هذا التقسيم وعند حديثهم علي أرمينية يتبعون هذا التقسيم، ويطلق اسم أرمينية نسبة إلي اول من سكنها وهو أرمينى بن لنطي أومرت بن يافث بن نوح عليه السلام. المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ١٠٨ ؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ٢ / ٣٣١ ؛ الإصطخري : المسالك، ص ١٨٠ ؛ الحموي، معجم البلدان، ٣ / ٤٤.

كانت تحدها حدود بيزنطة، أي أنها كانت إقليم حدود للدولة الإسلامية مع بيزنطة[١].

ومن الناحية الطبيعية كانت أرمينية تمتاز بعدة ظواهر طبيعية، فكثرة الجبال الوعرة التي تنتشر بالبلاد من بحيرة أرجيش شمالا وجبال القوقاز جنوبا ويغلب عليها طابع الهضاب الصغيرة والكبيرة والتي تمتد من الجنوب الشرقي إلي الشمالي الغربي، ولذا فقد كان يقصدها الأمراء والملوك الساسانيون، ومن بعدهم الأمراء الأمويون[٢] أضف إلي ذلك ما كانت تشتهر به أرمينية من أنهار؛ وأهمها نهر الرس ؛ والذي يجري شمال أرمينية ؛ ويصب في بحر الخزر[٣].

ومن الظواهر أيضا ؛ البحيرات ؛ والتي تنوعت ما بين المالحة مثل: بحيرة أرجيش أو وان أو الطريخ ؛ وما بين العزبة ؛ مثل بحيرة كوكجة أو البحيرة الزرقاء، وهي البحيرة العزبة الوحيدة الموجودة بالإقليم وهي صغيرة جدا[٤].

ومن أهم المدن التي كانت توجد في أرمينية ؛ وان وبدليس وأرجيش وأخلاط وأرزن وقاليقلا، ودبيل عاصمة البلاد[٥].

ومن الناحية الدينية كانت النصرانية منتشرة بين الأرمن منذ القرن الثالث الميلادي، كانت العلاقة وطيدة بين الأرمن وإخوانهم في العقيدة بيزنطة، إلي أن

(١) الإصطخري : المسالك والممالك ، ص ١٠٨، القلقشندي : أبو العباس أحمد بن عبد الله القلقشندي (٧٥٦ / ٨٢٠هـ)، صبح الأعشي في صناعة الإنشا ــ القاهرة ــ دار الكتب المصرية ١٩٢٤م، ج٥/٢٦ ؛ دونالد ولبر، إيران ماضيها وحاضرها،صـ٢٦.

(٢) الثعالبي : أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي ت ٤٢٨هـ/ ١٠٣٦م، تاريخ غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم، طهران، مكتبة الاسدي، ١٩٦٣م، صـ٥٥٨ ؛ لي استزنج : بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرانسيس كوركيس عواد، بيروت، مؤسسة الرسالة، ص ٤٣ ؛ صابر محمد دياب : أرمينية من الفتح الإسلامي إلي مستهل القرن الخامس الهجري، القاهرة – ١٩٧٩ صـ٢.

(٣) النويري : أحمد بن عبد الوهاب بن محمد البكري التميمي النقرشي النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ط القاهرة – دار الكتب المصرية – ١٩٢٢م، ج ١/ ١٠٥، ابن حوقل ، صورة الأرض،٢/ ٣٤٥.

(٤) البغدادي : مراصد الإطلاع، ١/ ١٧٢.

(٥) الشهرستاني : الملل والنحل – تحقيق محمد سيد كيلاني – بيروت – دار المعرفة – ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م – ١/ ٣٠، فؤاد حافظ، تاريخ الشعب الأرميني منذ البداية حتى اليوم ١٩٨٦م، صـ٩٠.

انعقد المجمع الديني في خلقدونية سنة ٤٥١م[١]، واتخذ هذا المجتمع قرارات رفضها الأرمن، وحاول أباطرة بيزنطة فرض هذه القرارات علي أرمينية غير أن الأرمن تمسكوا بمذهبهم اليعقوبي، مما أدي إلي انفصال الأرمينية عن مثيلتها البيزنطة.

وبسبب ذلك الخلاف حدث التقارب بين الفرس والأرمن ؛ مما سمح بقيام عبادة النار بين الأرمن ؛ وأصبح للمجوسية إتباع في أرمينية وكانت توجد إضافة إلي النصرانية والمجوسية، اليهودية وإن كان أتباعها يشكلون أقلية، وكانوا يتركزون شمال أرمينية لاسيما مدينة دبيل[٢].

وكان الأرمن يتصفون بقومية وعناد شديدين، فقد وقفوا بالمرصاد لمحاولات بيزنطية فرض مذهبها علي الأرمن ومن بعدهم فقد كانوا يعارضون جميع الحكام الفارسيين ويثورون ضدهم لاسيما حينما كانوا يحاولون فرض عبادتهم وهي عبادة النار، وفي المقابل كانوا يرحبون بحكم القساوسة والبطاركة من الأرمن، وفي أثناء قيام بيزنطة بالهجوم علي فارس كانوا يمدون يدي العون لبني جلدتهم ضد فارس وكان لهذه الصفات تأثير علي كيفية استقبالهم للإسلام فيما بعد[٣].

ومن الناحية السياسة، كانت أرمينية مقسمة بين القوتين العظميين آنذاك الإمبراطورية البيزنطية والإمبراطورية الفارسية فكانت إحداهما وهي الشرقية

(١) عقد هذا المجمع الديني بهدف توحيد المذهب الديني للنصرانية علي مستوي الإمبراطورية البيزنطية علي أساس أن السيد المسيح له طبيعتين، في حين كان الأرمن يعتنقون المسيحية من الناحية اليعقوبية المونوفستية والتي تقضي بان للمسيح طبيعة واحدة وحاول أباطره بيزنطة المتعصبين لمذهبهم فرضه فاستجابت لهم أران في حين عارضته أرمينية. أنظر فايز نجيب اسكندر : الفتوحات الإسلامية لبلاد الكرج – الاسكندرية – ١٩٨٨م – ص ٢٩ فؤاد حسن حافظ : تاريخ الشعب الأرميني – القاهرة – ١٩٨٦م – صـ٩٠.

(٢) الثعالبى : تاريخ غرر السير، ص ٥٨٨، كرايستنسن : ايران في عهد الساسانيين – ترجمة يحيى الخشاب – القاهرة – مطبعة لجنة التاليف – ص ٢٧.

(٣) النويري، نهاية الأرب، ١/ ١٠٥.

تابعة لفارس والاخري الغربية كانت تابعة لبيزنطة وكثيرا ما وقع التناحر بين فارس وبيزنطة علي أرمينية البيزنطية[١].

أذربيجان:

تقع أذربيجان[٢] إلي الشمال الشرقي لديار ربيعة والجزيرة ويحيط بها من الشمال أران ومن الشرق بحر الخزر (قزوين) وإقليم الجبال وجيلان ومن الغرب أرمينية وبلاد الجزيرة[٣].

كما تتميز أذربيجان بعدة ظواهر طبيعية أهمها الجبال الشاهقة مثل جبل سبلان غربي أردبيل، وجبل أرارات.

كما تجري بأذربيجان مجموعة أنهار ونهيرات أهمها نهر الرس شمالي أذربيجان، وتشترك أرمينية وأذربيجان واران في مجري هذا النهر وفي الجنوب يجري نهر إسفيذروج (النهر الأبيض)[٤].

وإلي جانب الأنهار توجد البحيرات مثل: بحيرة أرمية في وسط أذربيجان إلي الغرب قليلا كما كانت توجد بحيرة المراغة إلي الجنوب[٥].

ومن الناحية الدينية فقد كانت تغلب علي أذربيجان المجوسية، حيث كانت تشتهر بكثرة وجود بيوت النار وكانت قبلة المجوس للعبادة، حيث تتوافر بيوت

---

(١) دونالد ولبر، إيران، ص ٢٨.

(٢) أذربيجان : وسميت بذلك إما نسبة إلي أذر بن إيران الأسود بن سام بن نوح وإما أذر تعني النار وبايكان تعني الحافظ او الخازن باللغة الفهلوية أي بيت النار وهذا ما يرجحه الباحث نظرا لتاكيد المؤرخين عليه ولكثرة بيوت النار بأذربيجان : الحموي : معجم البلدان، ١/ ١٦٠.

(٣) القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، صـ١٨٩.

(٤) اسفيذروج : وهو نهر صغير يجري في الأقاليم متفرعا من نهر الكر، البكري الأندلسي : أبو عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع – تحقيق مصطفي السقا – ط القاهرة – مطبعة لجنة التاليف والترجمة ١٩٥١م، ٣/ ٢، أحمد محمد الساداتي : محاضرات في تاريخ الدولة الإسلامية في آسيا الوسطي وحضارتها – القاهرة – دار نافع للطباعة، ص ٦١

(٥) اليعقوبي : البلدان، ص ٢٧٣.

النار، وكانت تتميز أذربيجان بحرية العبادة ؛ مما سمح بوجود الديانة النصرانية علي أرضيها إضافة إلي أقلية من إتباع الديانة اليهودية(١).

ومن الناحية السياسية كانت أذربيجان تخضع للسيادة الفارسية خضوعا كاملاً، وفي بعض الأحيان كانت قيادة الجيوش الفارسية تسند إلي قواد من أذربيجان، وفي هذا دليل على انخراط الجنود الأذريين في الحياه السياسية الفارسية انخراطا كاملا، وكان حاكم البلاد إما من فارس وإما من أذربيجان ويسمي المرزبان(٢)، وكان يتخذ من أدبيل عاصمة ومقرا لحكمه(٣).

ومن الناحية العرقية خليطا من الفرس الساسانية والأتراك والأكراد إضافة إلي وجود الأرمن بحكم الجوار(٤).

أران:

هو ذلك البلد الثالث في منطقة الرحاب، ويتميز بكونه واحدا من أقاليم الحدود الإسلامية الشمالية، ويشترك بحدوده الجنوبية مع أذربيجان من الشرق، وأرمينية من الغرب، أما حده الشمالي فيجاور بلاد اللان والأبخاز وبلاد الصقالبة، وفي الشرق يتاخم بلاد الخزر، ويطل علي بحر قزوين بمساحات كبيرة، وفي الغرب يوجد البحر الأسود وجزء من الإمبراطورية البيزنطية(٥) ويتفق إقليم أران مع الإقليمين الآخرين في توافر الظواهر الطبيعية مثل الأنهار والجبال فيوجد فيه

(١) الأصفهاني، تاريخ سني ملوك الأرض – طبعة برلين – مطبعة كاويان – ص ٢٧ ؛ الساداتي : محاضرات في تاريخ الدولة الإسلامية – ص ٦١
(٢) المرزبان : وهو لقب ملول أذربيجان وهم ملوك ما وراء الأطراف ومرزبان بالفارسية تعني صاحب الحد، الخوارزمي: أبو بكر عبد الله بن أحمد بن يوسف الكاتب الخوارزمي، مفاتح العلوم – القاهرة – مطبعة الشرق ١٢٣١هـ، صـ٧١.
(٣) القلقشندي : صبح الأعشي في صناعة الإنشا، ٥ /٢٦، ياقوت الحموي : معجم البلدان ١/ ١٨٢-١٨٣.
(٤) حامدغنيم أبو سعيد :- انتشار الإسلام حول بحر قزوين، صـ١٥٢ – ١٥٣.
(٥) أبو الفدا : عماد الدين إسماعيل بن نور الدين ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣٢م : تقويم البلدان، تحقيق: ماك ريسيلان، باريس ــ المطبعة السلطانية ١٩٨٤م، صـ٣٨٦ ؛ القلقشندي :- صبح الأعشي في صناعة الإنشا، ٥ / ٣.

من الأنهار الكبرى نهرا الكر والرس[١]، ويبدأ نهر الكر من الجبال التي تقع إلي الغرب من مدينة تفليس ببلاد الكرج (جورجيا حاليا)، ويلتقي بنهر الرس شرقا في نهاية الشوط الذي يقطعان ويصب النهران المتحدان في بحر قزوين ويتصل بهما عدد من الروافد[٢].

أما عن بقية الظواهر الطبيعية في الإقليم فيمتاز بوجود مجموعة من الجبال الشاهقة ومنها جبال القبق أو جبال القوقاز[٣].

أما أهم المدن الموجودة في الإقليم فمدينة برذغة التي تقع بالقرب من نهر الكر، وعلي ضفاف أحد روافده، وإلي الجنوب منها كانت توجد البيلفان، وشمالي الإقليم كانت توجد مدينة باب الأبواب وتطل علي بحر قزوين وتسمي أحيانا الدربند أو الدينور[٤].

ويمتاز إقليم أران عن أرمينية وأذربيجان بكونه يطل علي بحر قزوين بمساحات كبيرة، ومتاخمته لبلاد الخزر.

ومن الناحية السياسية كان الإقليم خاضعا لنفوذ الدولة الساسانية وكانت قاعدة الإقليم هي مدينة الباب.

ويوجد في أران خليط من الديانات السماوية، أضف إليها عبادة النار ولكن كان يغلب عليها الديانة النصرانية من الناحية اليعقوبية ؛ أي أن للمسيح عليه السلام طبيعة واحدة ولكن حينما انعقد المجمع الديني في خلقدونية واصدر قرارا بتوحيد مذهب واحد علي الديانة المسيحية أي أن للمسيح عليه السلام طبيعتين فقد عارضته أرمينية في حين وافقت أران علي إتباعه وانخرطت فيه وإلي جانب

(١) الكر والرس : نهران كبيران بالإقليم ينبعان من غربه ثم يسيران الي الشرق الي ان يتحدا ثم يصبان في بحر الخزر، ابن النديم الفهرست –صـ٥٢، لي استرنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص ٤٣.
(٢) ابن حوقل، صورة الأرض،٢/ ٣٤٥ ؛ لي استرنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص ٢١٠.
(٣) جبال القوقاز : وتمتد من الغرب الي الشرق ثم تاخذ في الإنحدار في أران. المسعودي، مروج الذهب، ١/ ١٧٦، ابن حوقل : صورة الأرض، ٢/ ٢٣٩.
(٤) القلقشدي، صبح الأعشي في صناعة الإنشاء، ٥/ ٣٢.

النصرانية، كما كانت توجد عبادة النار في أران وذلك لقربها من مراكز عبادة النار في أذربيجان، كما توجد أقلية من أتباع اليهودية كانت تعيش في أران[١].

ثانيا: القوقاز الأوربي، أو القوقاز القريب:

وإلي الشمال من جبال القوقاز كانت توجد بقية مناطق القوقاز، وهي القوقاز الأوربي أو القوقاز القريب وكان يسمي قديما ممالك وأمم الشمال، والتي كان لها دور كبير في أحداث ووقائع الإقليم منذ أقدم العصور وإلي اليوم[٢]، وأهم هذه الممالك والأمم:

بلاد الكرج (جورجيا):

تقع بلاد الكرج (جورجيا) إلي الشمال الغربي من أرمينية الكبري، ويحيط بها من الشمال بلاد اللان والخزر، ومن الجنوب تسير حدودها بمحاذاة جبال القوقاز وحدودها مع إقليم أران، ومن الغرب تطل علي البحر الأسود وتتاخم مملكة السرير[٣].

وأهم مدن بلاد الكرج تفليس وجرزان، وبلاد الكرج متنوعة التضاريس، إذ نجد فيها الجبال الوعرة والوديان الخصة الواسعة، والغابات الكثيرة المنتشرة في ربوع الكرج، وقد كانت مرتبطة ببيزنطة برابطة الدين والانصهار في الدين المسيحي علي مذهب بيزنطة، وكان لهذا الارتباط أثرا كبيرا في العلاقة بين الدولة الإسلامية وبلاد الكرج، فقد زقف الكرجيون كحجر عثرة في طريق الحملات

(١) البغدادي، مراصد الإطلاع،١/ ٢١، لي استرنج : بلدان الخلافة الشرقية، ص ٩٠.
(٢) تشهد منطقة القوقاز عدة صراعات ومنازعات بين الدول العظمي للسيطرة عليها، فمنذ سقوط الاتحاد السوفيتي ظهرت منازعات وصراعات عديدة، منها محاولة جمهوريات جنوب روسيا (وتسمي جمهوريات شمال القوقاز) الانفصال عن روسيا، مثل جمهورية الشيشان الإسلامية وقيام حربين مدمرتين أتت علي الأخضر واليابس في هذه الجمهورية المسلمة، ومثل الصراع بين أرمينية وأذربيجان علي إقليم ناجورنو كاراباغ، والصراع بين جورجيا وإقليم أبخازيا المسلم، والصراع التاريخي بين أرمينية وتركيا، والصراع بين روسيا وأمريكا والاتحاد الأوربي وإيرن وتركيا حول ثروات بحر قزوين.
(٣) ابن حوقل، صورة الأرض، ٢ / ٣٤٠، لي استرنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص ٢٠٩

الإسلامية علي الإمبراطورية البيزنطية والاقتراب من البحر الأسود، وكثيرا ما تباهي الكرجيون بذلك، وتفاخروا علي بيزنطة، وكثيرا ما وردت عبارة " إن الله وضعهم كعقبة كأداء في طريق الزحف الإسلامي الجارف. فلولاهم لاستطاع المسلمون أن يسقطوا بسهولة القسطنطينية ويستولوا علي الإمبراطورية البيزنطية، كما حدث لبلاد فارس "[١] ولذلك نجد أنه في أثناء قيام المسلمين بالحملات علي بلاد الكرج كانت بيزنطة توفر المأوي لزعماء التمرد والخروج علي الدولة الإسلامية[٢] وفي أثناء الإضطرابات التي كانت تحدث في الدولة الإسلامية كانت بيزنطة تقوم بتجهيز زعماء الكرج بالعتاد والأموال والسلاح ثم تعيدهم إلي بلاد الكرج من أجل إذكاء روح الثورة ضد الحكم الإسلامي وإعلان الخضوع لحكم بيزنطة.وفي المقابل كان الكرجيون يدينون بالكثير لبيزنطة[٣].

وكان الكرج قبل مستهل القرن الرابع الميلادي يعبدون الشمس والقمر والكواكب والنار، ثم تمكن بعض المهاجرين اليهود من إدخال اليهودية في بلاد الكرج، إلا أن المسيحية انتشرت بسرعة خاصة في القسم الشرقي من بلاد الكرج، ويرجع الفضل في ذلك إلي القديسة (نينو) التي نجحت في إقناع الملك مريام علي اعتناق الدين الجديد، وكان ذلك في أعوام ٤١٣ و ٣٣٢م أي بعد فترة وجيزة م انتشار المسيحية في ربوع جارتها أرمينية.

وفي أخر الأمر اعتنقت الكنيسة الكرجية مثل الكنيسة الأرمنية مذهب الطبيعة الواحدة للمسيح عليه السلام، إلا أنه في سنة ٤٥١م أخذت بلاد الكرج بمقررات

(١) فايز نجيب اسكندر، الفتوحات الإسلامية لبلاد الكرج، ص ٣٤
(٢) كان شغل بيزنطة الشاغل هو عدم سيطرة غيرها علي البحر الأسود ولذلك فقد ساعدت الكرج في صراعها مع اللان ومع الأبخاز ثم في صراعها مع المسلمين، ومساندة الكرج ضد الدولة الإسلامية علي مر العصور. فايز نجيب اسكندر، الفتح الإسلامي لبلاد الكرج، ص ٣٥.
(٣) الأزدي:أبو زكريا يزيد بن محمد بن إياس بن القاسم الأزدي ت ٣٣٤هـ/ ٩٤٥م، تاريخ الموصل، تحقيق: علي حبيبة ــ القاهرة ــ طبعة لجنة إحياء التراث الإسلامي ١٣٨٧هـ ١٩٦٧م، ج ٢ / ١٧.

مجمع خلقدونية، وبذلك تحولت إلي مذهب الطبيعتين الذي ناصره بتعصب أعمي أباطرة الروم وحاولوا فرضه بالقوة علي البلدان الخاضعة لسيطرتهم.

وكان تعصبهم المذهبي الأعمي هذا عاملا هاما في إنجاح الفتوحات الإسلامية وارتماء شعوب البلدان المضطهدة في أحضان المسلمين المتسامحين(١).

مملكة الخزر:

والخزر أمة تركية تعتبر أكثر حضارة من الأمم التركية التي قامت في العصور الوسطي، وحدودها تقريبا من الشمال يحيط بها بلاد الروس والبلغار، ومن الجنوب جبال القوقاز، وحدود أران وإقليم الرحاب، ومن الغرب بلاد الكرج واللان، ومن الشرق بحر الخزر (قزوين) (٢) وأهم المدن بها إتل(٣) والبلنجر(٤) ويشتهر الخزريون منذ قديم الأزل بشدة البأس والتمرس في فنون القتال، وكثيرا ما شنوا الهجمات المدمرة علي مناطق القوقاز الجنوبية لا سيما بلاد الكرج (جوجيا) وأران، مما أجبر كسري أنوشروان أن يقوم ببناء مدينة باب الأبواب وتحصينها لتكون سدا يمنع هجماتهم عن مناطق القوقاز الجنوبية(٥). وكان نظام الحكم في بلاد الخزر وراثيا والملك يحمل لقب خاقان(٦).

وهذه الأمة خليط من العبادات الوثنية وعبادة الشمس، وعبادة النار، هذا إضافة إلي النصرانية، واليهودية، والخزر أمة تركية من الترك الذين ظهروا منذ

(١) فايز نجيب اسكندر، الفتوحات الإسلامية لبلاد الكرج، ص ٢٩.
(٢) ابن حوقل، صورة الأرض، ٢ / ٣٨٨، الساداتي، محاضرات في تاريخ الدول الإسلامية في آسيا الوسطي، ص ٥٩.
(٣) إتل : تقع إلي الشمال الشرقي من منطقة القوقاز وعلي نهر إتل. أنظر الحموي، معجم البلدان، ٢/٢٧٢.
(٤) البلنجر : أشهر مدت الخزر وعاصمة بلادهم، وأكبر مدنهم، وتقع شمال إقليم القوقاز. اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ١ / ١٧٨، الحموي، معجم البلدان، ٢ / ١٢.
(٥) ابن حوقل، صورة الأرض، ٢ / ٣٨٨.
(٦) الخاقان : وهي خان خان أي رئيس الرؤساء أو أمير الحرب الأعلي، ويسمي أحيانا ملك السباع. الخوارزمي، مفاتح العلوم، ص ٧٣.

القرن السادس الميلادي وكونوا لأنفسهم إمبراطورية واسعة امتدت من منغوليا وحدود الصين الشمالية حتي البحر الأسود، وانقسم الترك إلي أمم وأقوام كانت منهم الخزر(١)

وبالرغم من أن الخزر كانوا أمة بكل ما تحمله الكلمة من معاني الاستقرار إلا أنهم كانوا دائمي الترحال والتنقل وشن الهجمات علي البلاد والأمم المجاورة لهم، ولكن ومع ظهور الإسلام وخروج الدولة الإسلامية إلي حيز الوجود وسيطرتها علي بلاد القوقاز الجنوبية بدأ هجوم الخزر علي بلاد القوقاز يتخذ هيئة الكر والفر وشن الهجمات الخاطفة للسلب والنهب والقتل والتشريد ثم العودة السريعة من حيث أتوا(٢).

ولقد قام الخزر بالتحالف مع الإمبراطورية البيزنطية لصد المد الإسلامي، اكثر من مرة، وقد بلغت ذروة التحالف بين الخزر والإمبراطورية البيزنطية عندما استغل الإمبراطور ليو الأيسوري الثالث (٧١٧ – ٧٤١م) حالة الصراع بين الدولة الإسلامية والخزر وقام بتوثيق التحالف البيزنطي الخزري، بزواج ابنه وخليفته قسطنطين الخامس من ابنة خاقان الخزر سنة ١١٥ هـ / ٧٢٣م وتنصرت وتسمت باسم إيرين، ومنذ تلك اللحظة وعمل الخزر علي إقلاق مضجع الخلافة الإسلامية لفترات طويلة بغاراتهم المتكررة علي ديار الإسلام، ولا سيما وأن غاراتهم كانت تتسم بالقسوة المصحوبة بعمليات القتل والسلب والنهب(٣).

الصقالبة:

تقع أمة الصقالبة إلي الشمال الغربي لمنطقة القوقاز وعند منحدرات جبال القوقاز ومصب نهر الصقالبة (الفولجا الآن)، وقد أطلق عليها قديما اسم

(١) الحموي، معجم البلدان: ٢ / ٦٦، المسعودي، مروج الذهب، ١ / ١٧٨.
(٢) دحلان: أحمد زيني دحلان، الفتوحات الإسلامية، القاهرة ــ المطبعة الحسينية، ج ١ / ٥٩.
(٣) الطبري: محمد بن جعفر الطبري ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م، تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم ــ الطبعة الخامسة ــ القاهرة ــ دار المعارف، ج ١ / ٢١٥ – ٢١٦، وسام عبد العزيز فرج، العلاقات بين الدولة العربية والإمبراطورية البيزنطية، صـ٢٠٩ – ٢٢٤.

الصقالبة ثم بلاد الروس أو الروسية أو روس[١] ويحيط بها من الشمال أصقاع روسيا، ومن الجنوب بلاد الكرج وأران، وجزء من البحر الأسود، ويحيط بها من الغرب البحر الأسود، وتطل عليه بمساحات كبيرة، ومن الشرق يحيط بها مملكة الخزر وإقليم أران[٢].

وقد تنوعت الأصول العرقية للصقالبة بين البلغر والخزر والترك، وما بين الكرجيون والروس، والسبب في امتزاج هذه الأعراق المتباينة هو تقارب هذه الأمم جغرافيا واتصالها حضاريا وسياسيا[٣].

قال الشيخ محمد الخانجي رحمه الله: ((أما مساكن الصقالبة الأصليَّة، فمؤرخو العربِ يختلِفُون فيها اختلافاً كثيراً، وذلك لقلَّة الأخبارِ الواردةِ إليهم عنهم واختلافِها، ويُستخرَج من مجموعِ أقوالِهم، أنَّهم كانوا يسكنون في آسيا على مقربةٍ من بحر الخَزَرِ، ثم لمَّا هجمت عليهم القبائلُ المختلِفة من الجهةِ الشَّرقيَّةِ من بلادهم تحرَّكوا إلى الغربِ، وفي النّهاية استقرَّ بعض قبائلهم في القرن الأول للهجرة / السابع للميلاد في بلاد بوسنة و ما حولها من البلاد، وهؤلاء هم المعروفون بصقالبة الجنوب، وتضم الآن شتاتهم دولة تعرف باسم يوغسلافيا، ومعناه دولة صقالبة الجنوب)) [٤].

قال الأزهري: الصقالبة جيل حمر الألوان، صهب الشعور، يتاخمون الخزر وبعض جبال الروم، و قيل للرجل الأحمر صِقلاب تشبيهاً بهم[٥].

و في القاموس المُحيط: ((الصقالبة جيلٌ بلادهم تتاخم بلاد الخزر بين بُلْغَر وقسطنطينيَّة))[٦].

و قال الإصطَخَري[١]: الصقالبة أو الصقلبيَّة هم السلاف أو السكلاف، كان العرب يجلبون من بلادهم الرقيق.

(١) الحموي، معجم البلدان، ٢ / ٢٧٢،المسعودي، مروج الذهب، ١ / ١٧٦.
(٢) المسعودي، مروج الذهب، ١ / ١٧٦، خانجي، منجم العمران، ١ / ٢١٩
(٣) المسعودي، مروج الذهب، ١ / ١٧٦، خانجي، منجم العمران، ١ / ٢١٩.
(٤) الخانجي، منجم العمدان، صـ١٣.
(٥) أنظر : ابن منظور، لسان العرب، ٥٢٦/١.
(٦) الفيروز آبادي، القاموس المحيط،١ / ٩٦.

قلتُ: و ما ذكره الإصطخري من جلب العرب الرقيق من بلاد الصقالبة يؤيِّد الرأي القائل: إن الصقالبة كانوا أحد أهمِّ مصادر الرقيق في العالم حتى اشتقت كلمة عبد (Slave) في كثيرٍ من اللغات الأوروبيَّة من اسم الصقالبة (السلاف).

ولعل العرب اشتقوا هذه التسمية للصقالبة من لون بشرتهم المُشَرَّبة بالحمرة، حيث استعمل لفظ الصَقْلاب مقترناً بما يدل على ذلك في أشعار العرب، كما في قول الأخطل[٢]، يمدح بشر بن مروان[٣]:

عَوَادِلُ عوجا عن أناسٍ كأنما **** ترى بهم جمع الصقالبة الصُّهبِ

والصُّهبة، و الصُّهوبة: الحمرة أوالشقرة في شعر الرأس، و يُقال: رجلٌ

أما عن نسب الصقالبة فيرجعه معظم من ذكرهم من مؤرخي العرب ونسَّابتهم إلى يافث بن نوح، كما قال الشيخ الخانجي في الجوهر الأسنى.

وقال الحافظ أبو سعد السمعاني في كتابه (الأنساب): الصَقْلَبيُّ بفتح الصاد المهملة والقاف الساكنة واللام المفتوحة وفي آخرها الباء الموحدة: هذه النسبة

---

(١) الإصطخري : المسالك و الممالك، ص ١٣٤.

(٢) الأخطل، هو : غياث بن غوث بن الصلت بن طارقة بن عمرو التغلبي، أبو مالك، شاعر نصرانيٌّ، نشأ بأطراف الحيرة و اشتهر بالشام في عهد بني أميَّة، و أكثرَ من مدحهم، له ديوان شعر مطبوع، توفي ٩٠ هـ /٧٠٨ م. الزركلي: خير الدين الزركلي، الأعلام، القاهرة ــ المطبعة العربية ١٩١٧م، ج ٥ / ٣١٨، و خزانة الأدب، لعبد القادر البغدادي ج٢١٩/١.

(٣) بشر بن مروان، هو بشر بن مروان بن الحكم بن أبي العاص القُرَشي، العبشمي، الأموي، ولِيَ إمرة العِراقين (البصرة و الكوفة) في خلافة أخيه عبد الملك، توفي ٧٥ هـ / ٦٩٤م بالبصرة، و له من العمر بضعٌ وأربعون سنة.
أنظُر : ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي ت ٧٤٣هـ ١٣٧٢م، البداية و النهاية، تحقيق: أحمد عبد الوهاب فتيح ــ الطبعة الخامسة ــ القاهرة ــ دار الحديث ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، ج ٩ / ٧.

إلى الصقالبة، وهي منسوبة إلى صقلب بن لَنْطي بن يافث، ويقال: صقلب بن يافث والمشهور بهذه النسبة جماعة كثيرة[١].

و إذا كان أصل الصقالبة واحداً، فإنَّ فروعهم متعدِّدة، حيث تدخل تحت مُسمَّى الصقالبة اليوم مجموعاتٌ بشريَّة كبرى أشهرها:

- الصقالبة الشرقيون: و منهم الروس و الأُكرانيُّون.
- الصقالبة الغربيُّون: و منهم البولنديُّون و السلوفاك و التشيكيون.
- الصقالبة الجنوبيُّون: و منهم الصرب و الكروات و السلوفينيُّون و البلغار والمقدونيُّون والبوشناق (أو البّشانقة، و هم غالبيَّة سُكَّان البوسنة اليوم).

وقد اشتهر الصقالبة بكثرة التنقل والترحال طلباً للأمن والاستقرار تارةً، وسعياً وراء مصادر العيش وتتبع مواطن القطر والأرزاق تارةً أخرى.

وإذا عرفنا أن قبائل الصقالبة (الشعوب السلافية) مكونة من عناصر غير منتظمة لم تجمعها أية وحدة سياسية، بل كانت كل قبيلة منها – على صِغَرها – تعمل كوحدة مستقلة عن غيرها، وتتحرك بأفرادها المزارعين والرعاة المتطلعين إلى أرض زراعية للاستقرار فيها وإعمارها، عرفنا أن للزحف الصقلبي باتجاه عدد من المناطق البعيدة عن موطنهم كان أمرا طبيعيا.

مملكة اللان:

تقع مملكة اللان إلي الشمال الغربي من جبال القوقاز، ويحيط بها من الشمال بلاد الروس (الصقالبة) ومن الجنوب بلاد الكرج وأران، ويحيط بها من

(١) السمعاني: عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني ت ٥٦٢هـ/ ١١٦٦م، الأنساب، الطبعة الثانية، بيروت، مطبعة محمد أمين، ج ٣ / ٥٤٩.

الغرب البحر الأسود، ومن الشرق يحيط بها بلاد الخزر وجزء من حدود أران[١].

وكان لوقوعها بين فكي كماشة بين الصقالبة في الشمال والكرج في الجنوب، والخزر في الشرق، ولم يتوقف جيرانها عن الإغارة وشن الهجمات عليها، فقد قام أهل اللان ببناء قلعة اللان أو باب اللان لمواجهة هذه الهجمات المتكررة علي بلادهم، وقد أطنب المؤرخون الجغرافيون في وصف هذه القلعة من حيث مناعتها وحصانتها[٢].

ويتميز أهل اللان بالشجاعة وشدة البأس وكثرة المحاربين في الحروب والمعارك، بصورة لافتة للنظر، كما تميزوا بالغلظة والقسوة الشديدة، وتتكون اللان من أربعة قبائل رئيسية، ونظام الحكم فيها ملكي وراثي، ولابد أن يكون الملك من قبيلة دحساس ويحمل لقب بغاير[٣]. وبالرغم من أن نظام الحكم القائم في اللان وراثيا إلا أن السيطرة كانت في بعض الأحيان كانت تؤل إلي الكرج، وعليه فكان علي الملك أن يدفع الأموال السنوية لملك الكرج[٤].

وكانت الديانة النصرانية هي الغالبة بين سكان اللان مع وجود أقلية تعبد الأصنام[٥].

التقسيم الإداري للإقليم في العصر الحديث:

إذا كانت الجغرافيا الطبيعية من جبال وسهول وهضاب وأنهار ونهيرات وبحار وبحيرات لا يمكن تغييرها جذريا فإن التقسيم الإداري يمكن تغييره، وهذا ما حدث بالفعل، فقد تغيرت وتبدلت التقسيمات الإدارية لمنطقة القوقاز بين حين

(١) المسعودي، مروج الذهب، ١ / ٣٠٢، ابن الوردي، خريدة العجائب، ص ٥٢.
(٢) الحموي، معجم البلدان، ١ / ٣٢٥، فايز نجيب اسكندر، الفتح الإسلامي لبلاد الكرج، ص ٩٣.
(٣) الحموي، معجم البلدان، ١ / ٣٢٥.
(٤) الحموي، معجم البلدان، ١ / ٣٢٤ – ٣٢٥، البغدادي، مراصد الإطلاع، ١ / ٤٤.
(٥) ابن حوقل، صورة الأرض، ٢ / ٣٤٥، البغدادي، مراصد الإطلاع، ١ / ٢٣.

وآخر نسبة إلي لوضع حكوماتها الوطنية أو مدي وشكل وسيطرة الغزاة علي أقسام منها، فالحكم الروسي سواء في العهد القيصري أو الشيوعي كان يقوم بادخال تغييرات وإجراء تعديلات علي هذه التقسيمات بين حين وآخر بما يخدم مصالحها الإستعمارية ويضمن دوام السيطرة علي الشعوب واستغلال الموارد، وكانت هذه السياسة موجهة بشكل خاص ضد الشعوب الإسلامية التي قاومت الاحتلال الروسي لشمال القوقاز ببسالة كبيرة وعزم شديد.

فالحكم القيصري الاستبدادي لجأ إلي إخلاء مناطق الشعوب الإسلامية في شمال القوقاز بعمليات إبادة وتشريد وتهجير قسري، والاستيلاء ووضع اليد علي أخصب الأراضي الزراعية وتوزيعها علي أصحاب النفوذ والمقربين من القياصرة أمثال عشاق الإمبراطورة كاترين الثانية التي كانت تستبدلهم بالسهولة التي تستبدل بها أزياءها، وكذلك علي المستوطنين الروس والقوازق والأوكرانيين الذين كانت الحكومة القيصرية تجلبهم من مناطق بعيدة وتوطنهم في القوقاز ضمن خطتها لاحتلال واستعمار شمال القوقاز.

وأما الحكم الشيوعي فقد فاق الحكم القيصري استبدادا وإبادة للمسلمين وتمييزا ضدهم. وقام السفاح ستالين بقتل وتشريد ونفي جماعي لعدة شعوب إسلامية من القوقاز وشبه جزيرة القرم ومنطقة إيدال وأورال إلي أنحاء نائية وباردة في سيبيريا وآسيا الوسطي، ودأب الحكم الشيوعي علي إجراء تغييرات وتعديلات مستمرة علي التقسيمات الإدارية في شمال القوقاز هدفت إلي تجزئتها وتوزيع الشعب الواحد علي عدد من الوحدات الإدارية، بحيث تصبح هذه الشعوب أقليات لاوزن ولا نفوذ لها في ديارهم التاريخية التي عاشوا فيها منذ آلآف السنين.

فالتقسيمات الإدارية في القوقاز عندما حل الاتحاد السوفيتي في نهاية عام ١٩٩١م كانت علي الوجه التالي:: ــ

أولا: – شمال القوقاز أو القوقاز القريب، وهو القوقاز الأوربي وهو يضم الجمهوريات الإسلامية ذات الحكم الذاتي، والتي تقع في نطاق روسيا الاتحادية ويشمل:

١ – جمهوية الشيشان / أنجوش ذات الحكم الذاتي.
٢ – جمهورية الداغستان ذات الحكم الذاتي،
٣ – جمهورية القبطاي / بلقر ذات الحكم الذاتي.
٤ – جمهورية أوستيا الشمالية ذات الحكم الذاتي.
٥ – جمهورية الكالموك ذات الحكم الذاتي.
٦ – مقاطعة الكراتشاي / شركس ذات الحكم الذاتي ضمن إقليم ستافروبول.
٧ – مقاطعة أديغة ذات الحكم الذاتي ضمن إقليم كراسنودار.

ثانيا: القوقاز البعيد، أو القوقاز الآسيوي، والذي يسمي أحيانا جنوب القوقاز ويشمل:

١ – جمهورية جورجيا السوفيتية الاتحادية، وتقع ضمنها:
– جمهورية الأبخاز ذات الحكم الذاتي.
– جمهورية الادجار ذات الحكم الذاتي.
– مقاطعة أوسيتيا الجنوبية ذات الحكم الذاتي.
٢ – جمهورية أذربيجان، ويقع ضمنها:
– جمهورية ناختشيفان ذات الحكم الذاتي.
– مقاطعة ناجورنو كاراباغ ذات الحكم الذاتي.
٣ – جمهورية أرمينية[١].

(١) مصطفي دسوقي كسبة، المسلمون في آسيا الوسطى، صـــ٦١ ــ ٦٧.

الفصل الثاني

الفتح الإسلامي للإقليم في عهد الخلفاء الراشدين

(١٧ ـ ٤٠هـ / ٦٣٩ ـ ٦٦٠م)

وضع الإقليم قبيل الفتح الإسلامي:

كان الوضع في الإقليم سيئا للغاية قبيل الفتح الإسلامي ؛ فقد شهد الإقليم ككل عددا من الصراعات مما أدي إلي اختلال الأمن فيه، وكان لغياب السلطة المركزية التي تحقق الأمن والاستقرار فيه دور في تعقيد الوضع الداخلي ووقوعه جغرافيا بين فارس وبيزنطة دور في هذه الصراعات،فكانت الحروب تقع كثيرا بين البزنطيين والفرس في عدد من بقاع العالم القديمة وطبيعياً أن يكون الإقليم مسرحا طبيعيا لهذه الصراعات بين هاتين القوتين حول السيطرة علي دوله ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد فقد شهد الإقليم نفسه صراعات داخلية بين دوله وبصفة خاصة بين أرمينية الفارسية وأرمينية البيزنطية وكان هذا الصراع على هيئة حرب العصابات(١).

ولقد استمرت هذه المنازعات بين أرمينية الفارسية وأرمينية البيزنطية ردحاً من الزمن؛ مما دعا كلاً من فارس وبيزنطة إلي التدخل المباشر في هذا الصراع، مما ترتب عليه اضطراب الوضع في الإقليم قبيل دخول الإسلام للإقليم.

وكان العديد من مرازبة فارس يتم اختيارهم من بين طبقة النبلاء الأرمن، مما أضعف العنصر الفارسي الحاكم في أرمينية الفارسية، الذي تحول إلي حكم ظالم لاسيما حينما حاول فرض عبادة النار على أرمينية، ويتمثل ذلك حينما حاول يزدجرد الثالث ملك الفرس إجبار الأرمن إلي القيام بالثورة ضد حكمه، بالرغم من وجود عدد كبير من الفرسان الأرمن في صفوف الجيش الفارسي لمساعدته في حروبه لم يترك الأزمن الديانة المسيحية، ولم يعتنقوا العبادة المجوسية، وظل الصراع محتدماً بين الأرمينيتين الفارسية والبيزنطية إلي أن عقد الصلح بين فارس وبيزنطة عام ٥٩٠م(٢).

وكان حكام كل من أرمينية الفارسية والبيزنطية ينحازون تارة إلي بيزنطة وتارة إلي فارس، مما أفقدهم ثقة الأهالي، وثقة كل من فارس وبيزنطة ودعاهم

(١) صابر دياب، أرمينية، ص ٧
(٢) حامد غنيم أبو سعيد، إنتشار الإسلام حول بحر قزوين، ص ١٩٧.

إلي التدخل المباشر، وحينما أحرز هرقل (٦١٠ – ٦٤١م) نصراً حاسماً على الفرس استتب له الأمر في أرمينية بشطريها الفارسي والبيزنطي وجمعهما معاً تحت حكمه.

وفي هذا دليل على أن السلام والاستقرار في الإقليم لم يكن وفق مشيئة أهل الإقليم بقدر ما كان يتوقف على طبيعة العلاقة بين الفرس وبيزنطة.

وازداد الوضع تعقيداً بكون الإقليم لم يكن يسلم من هجمات قبائل الخزر الآتية من الشمال، فكثيراً ما وقع الصدام بين الخزر وسكان الإقليم، أو مع الدولة البيزنطية، التي كانت تسيطر على أرمينية البيزنطية.

كما شهد الإقليم عدد من الصراعات بين دوله و مالكه المتناحرة فيما بينها مثل تلك التي كانت تقوم بين اللان والكرج، وبين الصقالبة والكرج، كما أن الإقليم ككل لم يكن يسلم من هجمات الخزر المدمرة، وفي ظل غياب سلطة مركزية قوية تحكم الإقليم وحالة من الفراغ السياسي التي تشهدها المنطقة ككل، نجد أن الملاذ الوحيد لها كان هو وجود دولة دولة قوية تفرض سيطرتها وتجبر الناس على إحترامها، وكانت الدولة الإسلامية الوليدة هي المؤهلة للقيام بهذا الدور[1].

عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه (١٣ – ٢٣ هـ / ٦٣٤ – ٦٤٤م):

نجح العرب في إخضاع شبه الجزيرة العربية لسيطرتهم والاستيلاء على ممتلكات الإمبراطورية الفارسية بعد عدة معارك انتصر فيها المسلمون، والانتصارات التي حققها المسلمون في الشام وسورية وفلسطين.

(١) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي، ١/ ١٧٨، ابن خردا ذبه: أبو القاسم عبيد الله بن خرداذبه ت٣٠٠هـ/٩١٢م، المسالك والممالك، طبعة ليدن، مطبعة بريل، ١٣٠٩ هـ، صـ١٢٤ ؛ الهمداني: أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن داود الهمداني ت ٣٣٤هـ، صفة جزيرة العرب، القاهرة، مطبعة السعادة، ١٩٥٣م، صـ٣٨.

وفي الحقيقة فإن انتصارات المسلمين في معركة اليرموك ١٣هـ / ٦٣٤م والقادسية ١٥هـ/ ٦٣٦م[١] ترتب عليها أن بدأ سكان إقليم جنوب القوقاز يشعرون بدبيب الفتوح الإسلامية تطرق أبوابهم فتوقعوا مصيرهم المحتوم.

وقد حاول القوقازيين تعطيل مشروع الفتح الإسلامي لبلادهم بكل ما أوتوا من قوة وإرادة، فقدموا كل مرتخص وغال في سبيل تحقيق هذه الغاية، وكانت البداية هي مشاركة الفرس والبيزنطيين الحرب ضد القوات الإسلامية في معركة القادسية ١٥هـ/٦٣٦م حيث شارك أربعة آلاف من الأرمن مع الفرس[٢].

واشترك الأرمن بعدد أكبر في معركة اليرموك ١٣هـ / ٦٣٤م، فقد وقفوا إلي جوار بيزنطة بجيش مكون من اثني عشر ألفاً من الأرمن، وبالرغم من ذلك فقد استطاع المسلمون أن يوقعوا الهزيمة بهذه الجموع، وبالرغم من هذيمة البيزنطيين وحلفاؤهم الأرمن في معركة اليرموك إلا أنهم لم ييأسوا، وأعادوا الكرة من جديد، وأعادوا تجميع صفوفهم، ولكن بأعداد أكبر وحلفاء جدد، فقد تجمعت القوات البيزنطية يساندها جيش من الأرمن والأعراب المتنصرين لمواجهة تقدم القوات الإسلامية المتوجهة نحو جنوب القوقاز بقيادة عياض بن غنم[٣]، ولكن ــ وكعادة الفتوحات الإسلامية في صدرها الأول تمكن المسلمون

(١) اليرموك والقادسية : كانتا من المعارك الفاصلة في تاريخ الإسلام، وكانت اليرموك في عهد أبو بكر الصديق بقيادة خالد بن الوليد، والقادسية كانت في عهد عمر بن الخطاب بقيادة سعد بن أبي وقاص. الخضري: تاريخ الأمم، بيروت – دار المعرفة، ج١/ ٧٦، ٧٧، ١٩٠ ــ د/ عبد الشافي عبد اللطيف: العالم الإسلامي في العصر الأموي ــ القاهرة ١٩٨٤م صـ١٤٤، الفتح الإسلامي لبلاد ما وراء النهر وانتشار الإسلام هناك ــ ط القاهرة، صـ١٠ ــ ١٨.

(٢) أسد رستم : الروم في سياستهم وحضارتهم وثقافتهم ودينهم وصلاتهم بالعرب – الجزء الأول – بيروت – دار المكشوف – ١٩٥٥م، ص ٢٤٤.

(٣) عياض بن غنم بن زهير بن شداد بن ربيعة بن هلال بن غنم، كان شريفاً وكان على يديه فتح الجزيرة وهو أول من جاز الدرب إلي الروم، وهو من شجعان الصحابة وغزاتهم، أسلم قبيل صلح الحديبية، وكان يقال له زاد الركب لكرمه، سمع عن رسول الله ﷺ، وكان أحد الأمراء الخمسة يوم اليرموك، وذكره ابن الرقيات من أشراف مكة، وتوفى سنة ثلاثين من الهجرة. عنه انظر : الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت ٧٤٨هـ/ =

من هزيمة هذه الجموع[١].

وكانت بداية الفتوح الإسلامية لمناطق جنوب القوقاز عام ١٧هـ / ٦٣٩م، حينما قدم المغيرة بن شعبة[٢] الكوفة ـ وكانت مقر القوات الإسلامية المتوجهة نحة القوقاز _ والياً عليها من قبل عمر بن الخطاب ومعه كتاب إلي حذيفة بن اليمان[٣] بالمسير إلي أذربيجان لفتحها، فسار إليها من نهاوند (٢١ هـ - ٦٤١م)[٤] فسار بقواته حتى اقترب من مدينة عاصمتها

=١٣٤٨م، سير أعلام النبلاء، الطبعة الثالثة – بيروت – مطبعة الرسالة –١٩٨٥م – ٣/ ٣٥٤ ؛ ابن عبدالبر: أبو عمر يوسف عبد الله بن محمد بن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق على محمد البجاوي – القاهرة – مكتبة النهضة – ص ٢٣٤ ؛ الزبيري: أبو عبد الله المصعب بن المصعب الزبيري ت ٢٣٠هـ/ ٨٤٥م، نسب قريش، القاهرة، دار المعارف، ١٩٥١م، صـ٤٤٧.

(١) الواقدى: أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدي ت ٢٠٧هـ/ ٨٢٤م، فتوح الشام، القاهرة ـ مكتبة النهضة، ج١٨/٢ – ١٩، د/ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ـ القاهرة ـ مطبعة النهضة ـ الطبعة التاسعة ١٩٧٩م، ج١ صـ٧٥.

(٢) وهو المغيرة بن شعبة بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف، وأمه أسماء بنت أفقم ويكني أبا عبد الله ويقال له مغيرة الرأي، وأول مشاهدة الحديبية، ولاه عمر البصرة والكوفة فعزله عثمان وولاه معاوية الكوفة – عنه انظر ابن سعد : محمد بن منيع الزهيري البصري ت٢٣٠هـ/٨٤٥م، الطبقات الكبري، طبعة ليدن ١٣٢٢هـ، ج٢/ ٢٨٤ – ٢٨٥.

(٣) وهو حذيفة بن اليمان بن حسل بن جابروان، وقيل ذلك لأنه أصاب دماً في قومه، فهرب إلي المدينة وحالف بني عبد الأشهل من الأنصار فأسموه اليمان، لأنه حالف الأنصار وهو من اليمن، روي عنه ابنه عبد الله وعمر بن الخطاب وعلى بن أبي طالب وغيرهم، وهاجر إلي النبي ﷺ فخيره بين الهجرة والنصرة فاختار النصرة، وشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم أحداً وقتل أبوه بها وحذيفة صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنافقين لم يعلمهم أحداً غيره، وفي عهد عمر سأله أفي عمالي أحداً من المنافقين فأشار إليه أن نعم فعز له عمر كأنه عرفه، وكان كلما مات أحد فإن شهد حذيفة الجنازة حضرها عمر وشهدها، وكان على يديه فتح همدان والدينور والري، وشهد فتح الجزيرة، وعاش في نصيبين، وتزوج بها وكان دائماً يسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الفتن والشر حتى يتجنبها، كما أرسله النبي ﷺ إلي معسكر الكفار يوم الأحزاب ليأتيه بأخبارهم، ولم يشهد بدراً لأن الكفار كانوا قد أخذوا عليه موثقاً ألا يقاتلهم، فسأل النبي صلى الله عليه وسلم أيقاتل أم لا فقال :- بلي نفي لهم بعدهم ونستعين بالله عليهم – وعن حذيفة انظر – الذهبي :- سير أعلام النبلاء، ٢/ ٣٦١ ؛ أبو نعيم الأصفهاني: الحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني ت ٤٣٠هـ/ ١٠٣٨م، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، بيروت – دار الفكر العربي، ج٢/٢٧٩.

(٤) نهاوند :- كان يقود المسلمون في هذه المعركة النعمان بن مقرن وكان أول شهيد فيها فتولى القيادة حذيفة بن اليمان وكانت تسمي فتح الفتوح – السيوطي: الإمام الحافظ جلال الدين =

أردبيل[١] وبها المرزبان، وكان قد استعد لمواجهة القوات الإسلامية، فقام بجمع مجموعة كبيرة من المقاتلين من المدن المجاورة من الشيز[٢] والميانج وغيرها[٣] من المدن في أذربيجان واقتتلا قتالاً شديداً استمر أياماً وكان النصر حليف المسلمين، ثم إن المرزبان لم يجد بدا من النزول علي حكم المسلمين وجنح إلي الصلح، فصالح حذيفة بن اليمان على جميع أذربيجان، على أن يدفع جزية سنوية مقدارها ثمانمائة ألف درهم على أن لا يقتل من الآذريين أحداً ولا يسبيه ولا يهدم بيت نار ولا يعرض لأكراد الشيشجان والبلاشجان[٤] وسبلان[٥] ولا يمنع أهل الشيز من إقامة شعائرهم الدينية والاحتفال

=عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ٨٤٩/ ٩١١هـ، تاريخ الخلفاء – تحقيق محمد محي الدين الطبعة الأولى – القاهرة – مطبعة السعادة – صـ١٢٣ ؛ القلقشندي :- مآثر الإناقة، تحقيق عبد الستار أحمد – بيروت – مطبعة عالم الكتب، ج١/ ٩١.

(١) أردبيل :- وهي عاصمة أذربيجان وتقع شمال شرق أذربيجان وكانت قد بناها أردبيل بن لنطي ونسبت إليه ثم بناها فيروز قباذ –. الحموي، معجم،١/ ١٨٢ – ١٨٣ ؛ القلقشندي :- صبح الأعشي، ج٢٧/٥.

(٢) الشيز: مدينة بأذربيجان وكانت تتميز بوجود بيوت النار الكثيرة التي كانت لها أهمية كبيرة في أذربيجان، وبها معدن الذهب والفضة، كما أن الميانج بلدة في أذربيجان. انظر: الحموي: معجم البلدان، ٢١٨/٨.

(٣) الديار بكري: حسين بن محمد بن الحسن الديار بكري، تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، بيروت – مؤسسة شعبان – ١٩٨٤م، ج٢/ ٢٤٣، دحلان، الفتوحات الإسلامية، القاهرة، ج٤٢/٢.

(٤) الشيشجان والبلاشجان :- وهما من أقاليم أران، وكان الفرس يسيطرون عليهما ثم استولي عليهما الخزر حتى سيطر المسلمون على الإقليم، وكانت هذه الأقاليم قد بني فيها كسري أنوشروان عدداً من القلاع، وكان أهمها : قلعة الكلاب وقدمه وشهبوش، وأسكن كسري هذه القلاع قوماً من الشياشيين ذوي البأس والنجدة، وبني الحائط بين الشيشجان والخزر بالصخر والرصاص وجعل عرضه ثلاثمائة ذراع حتى ألحقه برؤوس الجبال، ثم قاده في البحر وجعل عليه أبواب حديد، فكان يحرسه مائة رجل بعد أن كان يحتاج إلي خمسين ألفاً من الرجال لحراسته.
اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي،١/ ١٧٨ ؛ ابن الفقيه: أبو بكر أحمد بن محمد الهمداني المعروف بابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، طبعة ليدن، مطبعة بريل ١٣٠٢هـ، صـ٢٨٨ ؛ ابن رسته، الأعلاق النفسية، صـ١٣٧.

(٥) سبلان: جبل بأذربيجان عالي ومرتفع بالقرب من أردبيل، وتكاد لا تفارقه الثلوج طوال العام. الحموي: معجم البلدان، ٢١٨/٨، البغدادي: مراصد، ٣٤٤/٢.

بأعيادهم[١].

ثم لم يلبث عمر بن الخطاب أن قام بعزل حذيفة بن اليمان عن أذربيجان وولاها عتبة بن فرقد[٢] ـ الذي كان في الجيش الفاتح لأذربيجان ـ فدخلها، وضبط أمورها وجعل مركز قيادة البلاد في مدينة أردبيل العاصمة[٣]، وقد ظلت أذربيجان على العهد مع المسلمين، ولكن كانت قد انتقضت عليه بعض النواحي من أذربيجان فحاربها عتبة بن فرقد، وتغلب عليها وطلبوا الأمان فأعاد تجديد الصلح السابق معهم وأعطاهم أمانا جديدة صلحاً جديدا[٤]، نص على:

---

(١) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ١٢٣ ؛ سعيد الديوه حي: تاريخ الموصل، بغداد، المطبعة الوطنية ١٩٨٢م، الطبعة الأولى، صـ٣٥. وسبلان جبل بأذربيجان عالي ومرتفع بالقرب من أردبيل وتكاد لا تفارقه الثلوج طوال العام –الحموي : معجم البلدان – ٨/ ٢١٨ ؛ البغدادي، مراصد،٢/ ٣٤٤.

(٢) عتبه بن فرقد بن حبيب بن مالك بن أسعد بن رفاعة بن أسلم السلمي، له صحبة ورواية، غزا مع النبي ﷺ غزوتين، وشهد خيبر معه، وقالت أم عاصم زوجة عتبة بن فرقد : كنا عند عتبة ثلاث نسوة، وإن كل واحدة منا تريد أن تكون أطيب ريحاً من صاحبتيها، وكان إذا خرج كانت له رائحة طيبة دون أن يتطيب، فلما سألته عن ذلك قال لها: أنه أصابه ذات مرة مرض الشري – مرض طفح جلدي – على عهد رسول الله صلي الله عليه وسلم فشكا ذلك إليه فأمره فقعد بين يديه، فتفل في يديه الشريفة ومسح بها بطنه وظهره فزال المرض عن جسده، وعبق الطيب في جسده ولم يتطيب، وكانت فتوح أذربيجان على يديه ومات بالكوفة. عن عتبة ابن فرقد انظر ابن عبد البر: أبو عمر يوسف عبد الله بن محمد بن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: محمد البجاوي ـ القاهرة ـ مكتبة نهضة مصر، ج٣/ ١٢٩، ابن سعد: محمد ابن سعد بن منيع الزهيري البصري ت ٢٣٠هـ/ ٨٤٥م، الطبقات الكبرى، طبعة ليدن ١٣٢٢هـ، ج١٨/٢، العسقلاني: شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد العسقلاني ت ٨٥٢هـ، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: محمد البجاوي ـ القاهرة، نهضة مصر، ج٤/ ٤٣٩ ؛ ابن الأثير: أبو الحسن بن الكرم الشيباني ت ٦٣٠هـ، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: محمد إبراهيم البنا ـ محمد أحمد عاشور ـ دار الشعب للطباعة، ج٣/ ٥٦٧.

(٣) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٢٣ ؛ دحلان، الفتوحات الإسلامية،١/ص ١٠٧ ؛ حسن أحمد محمود: الإسلام في أسيا الوسطى ما بين الفتحين العربي والتركي ـ القاهرة ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢م، صـ٣.

(٤) الدميري: كمال الدين الدميري، حياة الحيوان الكبرى ـ القاهرة ـ المكتبة التجارية الكبرى، ج ١/ ٥١، البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م، فتوح البلدان، تحقيق: رضوان محمد رضوان ـ المكتبة التجارية ١٩٣٢م، ج ١/ ٣٢٣ ؛ محمد حميد الله=

١- أن يعطوا الأمان عن أنفسهم وشرائعهم ومللهم، ويسمح لهم بحرية العبادة.

٢- تفرض الجزية على القادر البالغ العاقل منهم، ويعفي من ذلك الصبي والمرأة والسائل والمتعبد المتفرغ للعبادة.

٣- على أهل أذربيجان استضافة وقري المسلم يومه وليلته، من طعام أهل الكتاب وإرشاده ودلالته.

٤- تسير هذه الشروط على أهل أذربيجان ومن يقيم معهم في بلادهم(١).

وبالرغم من عقد الاتفاق سنة ١٨ هـ / ٦٣٩م، إلا أن الآذريين ــ شأنهم شأن القوقازيين ــ كانوا دائمي التمرد والخروج علي الطاعة، فقد عادوا للانتفاض مرة ثانية في نهاية عهد عمر بن الخطاب حيث تجمعوا وأعلنوا الثورة،وهددوا الحاميات الإسلامية الموجودة في أذربيجان، فتصدي لهم القائد العربي نعيم من مقرن(٢) بحزم وعزم شديد، وتمكن من تفريق هذه الجموع وإخماد ثورتها بعد هزيمتها في معركة يصفها المؤرخون بأنها كانت حامية كانت حامية الوطيس(٣) وكتب نعيم بانتصاره على الأذريين إلي عمر(٤)، وأرسل بالأخماس إليه مع سماك بن خرشة(٥).

= الحيدر أبادي: مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة – القاهرة – مطبعة لجنة التأليف والترجمة، ج٤/ ١٤٨.

(١) البلاذري : فتوح البلدان – ص ٣٢٣.

(٢) نعيم بن مقرن بن عابد المرني بن كعب بن عبد ثور بن هدمة بن لاطم، أخو النعمان بن مقرن، وخلفه بعد مقتله في نهاوند فأخذ الراية وأعطاها لحذيفة بن اليمان، وكان هو وأخوه من جله الصحابة، ابن عبد البر، الاستيعاب،٣/ ٥٢٨ ؛ العسقلاني،الإصابة،٣/ ٥٣٩.

(٣) الطبري : تاريخ الأمم، ج٤/ ١٤٩ ؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٢٣.

(٤) خليفة بن خياط ت ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م: تاريخ خليفة بن خياط – تحقيق: أكرم ضياء العمري – الرياض – دار طيبة للطبع والتوزيع ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م – صـ١٤٧ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، صححه: محمد يوسف الدقماق ــ الطبعة الأولى ــ بيروت ــ دار الكتب العلمية ١٩٨٧م، ج٢/٤٣٧.

(٥) سماك بن خرشة : وهو غير أبي دجانة، وكان سماك بن خرمة وسماك بن عبيد العبسي وسماك بن خرشة وليس أبي دجانة أول من ولي أرض همدان، وقدم هؤلاء الثلاثة في وفد أهل الكوفة بالأخماس وانتسبوا إليه، فقال عمر :- اللهم بارك فيهم وانصر بهم الإسلام.عنه انظر : العسقلاني، الإصابة،٢/ ٧٥ ؛ ابن عبد البر، الاستيعاب،٢/٨٢.

وكانت فتوح الإسلام لأرمينية سنة ١٨ هـ / ٦٤٠م حيث شن المسلمون عدة هجمات على أرمينية بقيادة عياض بن عنم الذي حاصر مدينة دبيل[١] عاصمة البلاد، ولم يكن بها حامية تدافع عنها لأن فرق الجيش الأرمني بعد معركتي القادسية واليرموك كانت قد فرت من وجه القوات الإسلامية إلي الريف الأرمني، فنجح المسلمون في الاستيلاء على المدينة بسهولة كبيرة.

ولما فشل القائد الأرمني تيودور الرشتوني في مجابهة القوات الإسلامية والتصدي لها، وتركها تدخل دبيل[٢]، فحاول مباغتتهم في طريق عودتهم من دبيل إلي المقر الرئيسي في أردبيل،فكمن لهم في البراري والغياض وأراد أن يأخذهم علي حين غرة، ولكنه فشل وعاد خائباً، بعد أن أوقعت به القوات الإسلامية الهزيمة النكراء وأجبرته علي الفرار من أمامها[٣].

ولكن الملاحظ أن المسلمين لم يكونوا يستقرون في البلدان المفتوحة في مناطق القوقاز، ربما لصعوبة الطقس القارص الذي يصعب عليهم التكيف معه ولكون هذه البلاد نائية عن مستودعات الإمدادات في الكوفة والبصرة، واكتفوا في بداية الفتوحات بترك الحاميات العسكرية والعودة إلي مراكز التجمع في أردبيل، مما جعل السيطرة الإسلامية علي تلك المناطق في موضع ضعف، استغله القوقازيين في الثورة وتهديد الوجود والسيطرة الإسلامية عليها.

وكان الذي حدث أن استغل الأرمن تراجع القوات الإسلامية عن بلادهم، وشعروا بضعف الحاميات العسكرية وقلة عددها، فثاروا وهددوا تلك الحاميات، مما أجبر الخلافة الإسلامية علي سرعة أرسال حملة عسكرية إليهم في عام ٢١

---

(١) البلاذري : فتوح البلدان – ص ١٩٧ ؛ الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، القاهرة، مطبعة السعادة ١٣٦٨هـ، ج٢/١٣٤.

(٢) ودبيل هي عاصمة أرمينية، وكانت مقر الحاكم العربي، وبها دار الإمارة، وتنطق في المصادر الغربية دوين والعربية دبيل انظر : الحموي، معجم البلدان،١/٢٠٤ ؛ ابن حوقل،صورة الأرض،٢/٣٣٧.

(٣) الذهبي، تاريخ الإسلام،٣/ ١٣٤، البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٩٧.

هـ / ٦٤٢م، وقاد هذه الحملة حبيب بن مسلمة[١] وسلمان بن ربيعة الباهلي[٢].

ووجد الجيش الإسلامي في هذه الحملة مقاومة شديدة من جانب الأرمن[٣] بعد أن قوي ضلعهم بالمساعدات التي قدمتها لهم بيزنطة،فأعادوا تنظيم صفوفهم، وجمعوا شتات أمرهم غير أن دوافع الدولة الإسلامية كانت أقوي في تنفيذ خطتها القاضية بفتح أرمينية، وإحكام السيطرة عليها، وفي ١٧ رمضان ٢٢ هـ / ١٠ أغسطس ٦٤٢م نجح سلمان بن ربيعة وحبيب بن مسلمة من إيقاع الهزيمة بجموع الأرمن وحلفائهم وأجبروهم علي الفرار إلي المزارع والأحراش[٤].

أران:

ويرجع أول اتصال للدولة الإسلامية بأران في أواخر عهد عمر بن الخطاب وبالتحديد في سنة ٢٢ هـ / ٦٤٢م حينما كلف الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كلا من سراقة بن عمرو[٥] وعبد الرحمن بن

---

(١) حبيب بن مسلمة بن مالك الأكبر بن وهب بن ثعلبة بن وائل بن محارب بن فهر بن مالك الفهري، يقال له حبيب الروم لكثرة دخوله إليهم، له صحبة، وقيل إنه مستجاب الدعوة، وحينما حوصر عثمان بعثة معاوية بن أبي سفيان إليه ومات رسول الله صلي الله عليه وسلم وعنده ١٢ عام، ولم يغز مع النبي صلي الله عليه وسلم غزوة واحدة عنه انظر – ابن الأثير، أسد الغابة،١/ ٤٩.

(٢) سلمان بن ربيعة بن يزيد بن ثعلبة بن قتيبة بن معن بن مالك بن أعصر، أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وقيل له صحبه، وشهد فتوح الشام مع أبي أمامة الباهلي، استقضاه عمر على قضاء الكوفة فظل أربعين يوماً لا يختصم إليه أحد، وكان يل لعمر الخيل ولذلك سمي سلمان الخيل، وكان عمر أعد في كل مصر خيلاً كثيفة بها، وكان يتولى خيول الكوفة، وغزا أذربيجان وبلنجر وأران والخزر وقتل ببلنجر عام ٢٨ هـ / ٦٤٨م، روي عنه عدي بن عدي الضبي بن معبد وأبي وائل شقيق أبي سلمة وكان ثقة قليل الحديث. عنه انظر : ابن الأثير، أسد الغابة،٤١٥/٢ ؛ النووي، تهذيب الأسماء، صـ٢٩٤.

(٣) الواقدي، فتوح الشام،١٧٥/٢ – ١٧٦ ؛ مروان المدور: الأرمن عبر التاريخ، الطبعة الأولى ــ بيروت ــ مكتبة الحياة ١٩٨٢م، صـ١٩٧.

(٤) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٣٤.

(٥) سراقة بن عمرو ولقبه ذا النور، وذكره المؤرخون من الصحابة ولم ينسبوه، وكان أحد الأمراء بالفتوح وكانوا لا يأمرون غير الصحابة، ومات في أرمينية، وكان عمر أقره على =

ربيعة[١]بالمسير إلي شمال القوقاز وتحديدا إلي مدينة باب الأبواب المعروفة بالدربند[٢]، وأمده عمر بن الخطاب بحبيب بن مسلمة عامله على الجزيرة، وعلي مايبدو أن زعيم هذه المدينة كان عاقلا رأي أن المسلمين لا يقف في وجههم أحد ورأي ماجري لجيرانه من المدن والبلدان فاعتبر بغيره، ولم يشأ أن يكون عبرة لغيره، فطلب ملك أران من عبد الرحمن بن ربيعة أن يأتيه والإلتقاء معه للحديث والمشاورة، فلما أتاه عبر له عما يكنه من سخط وكراهية للأرمن الذين كانوا يقيمون حول بلاده، وأعلن عن نياته الطيبة تجاه المسلمين وطلب عقد الصلح مع المسلمين، علي أن يعطوه بعض المميزات عن غيره، وكانت هذه شروطه:

١ – أعطاهم المسلمون الأمان على أنفسهم وبيعهم وأموالهم وأنفسهم وديانتهم.
٢ – أعفي عبد الرحمن أهل أران من الجزية بناء على طلب ملكهم لأنه كان يري فيها مهانة أمام السكان الأرمن أعداءه.وتمييزا له عن غيره.
٣ – أن يقدم أهل أران يد المساعدة للمسلمين في حروبهم ضد أعدائهم ويستجيبوا لكل أمر يراه الوالي المسلم صالحاً.
٤ – على أهل أران استضافة المسلم يوماً وليلة وإطعامه من طعام أهل الكتاب.
٥ – يسري هذا الاتفاق على السكان الأصليين من أران ومن أقام معهم من الأرمن[٣].

=اتفاقه ولما مات استخلف عبد الرحمن بن ربيعة فأقر عمر بن الخطاب استخلافه. عنه انظر. العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة،٣/٤١ ؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ٢/ ٣٣٠.

(١) عبد الرحمن بن ربيعة بن يزيد الباهلي، وكان يلقب هو الآخر ذا النور، ولاه عمر قضاء الجيش الذي وجهه إلي القادسية بقيادة سعد بن أبي وقاص، وعهد إليهم تقسيم الغنائم ثم ولاه الباب وقتال الترك والخزر، واستمر في ولايته هذه إلي أن استشهد في بعض وقائعه – انظر: الزركلي، الأعلام، ٢/٤٩٣.

(٢) باب الأبواب : وهي إحدى نواحي أران شمالها الشرقي على بحر الخزر وفي وسطها مرسي للسفن وكانت مساحتها ميلين في ميلين وكانت قد بناها كسري أنوشروان – عنها انظر – الحموى، معجم البلدان،٢/٩ ؛ ابن حوقل، صورة الأرض،٢/ ٣٣٩.

(٣) الطبري،تاريخ،٢/١٥٧ ؛ فايز اسكندر، الفتوحات الإسلامية الأرمينية، ص ٤٢.

شمال القوقاز:

وبعد أن استقر المسلمون في أران وصفا لهم الأمر أخذ سراقة بن عمرو يرسل الحملات إلي مناطق شمال القوقاز من أجل الفتح أو الاستطلاع، فوجه حبيب بن مسلمة إلي مدينة تفليس(١)، وبكير بن عبد الله إلي مدينة موقان(٢)، وحذيفة بن أسيد إلي مناطق جبال اللان(٣)،وسلمان بن ربيعة إلي شمال أران(٤)، ولكن أتت الرياح بما لا تشتهي السفن، فقد توفي سراقة بن عمرو فتعطل المشروع بأكمله، وبالرغم من أن عمر قد استخلف مكانه عبد الرحمن بن ربيعة على شمال القوقاز(٥) من أجل إنجاز ما كان قد بدأه سراقة بن عمرو، إلا أن هذه الحملات لم تحقق شيئا إلا ماكان من نجاح بكير بن عبد الله من فتح موقان وعقد معهم صلحاً واتفاقاً في ٢١ هـ / ٦٤١م نص على:

١- أن يعطي أهل موقان الأمان على أنفسهم وشرائعهم ومللهم وأموالهم.
٢- أن تفرض عليهم الجزية ديناراً على كل حالم قادر بالغ، ومن لم يستطع نقداً دفع ما قيمته.
٣- دلالة ونصح المسلم واستضافته يوماً وليلة.
٤- إذا نقض أهل موقان هذا العهد فلا أمان لهم عند المسلمين.
٥- إذا هرب إلي أهل موقان بعض أعداء الدولة الإسلامية فعليهم أن يسلموهم إلي قادة المسلمين وإلا فهم متمالئون معهم(٦).

---

(١) تفليس وهي مدينة بنواحي أران تقع على أحد فروع نهر المر بالقرب من بلاد الكرج ؛ اليعقوبي، البلدان، صـ٣٦٣.
(٢) موقان مدينة ما بين أربيجان وأران تقع على مقربة من بحر الخزر ونهر الرس – أنظر – الحموي، معجم البلدان،٨/ ١٩٨.
(٣) اللان : تقع شمال تفليس وهي مناطق واسعة تتاخم جبال القوقاس وهي تتكون من عدة ممالك. انظر الحموي : معجم –،١/٣٢٤.
(٤) الطبري، تاريخ، ٤/٤١.
(٥) العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة،٣/٤١ ؛ ابن الأثير، أسد الغابة،٢/٣٠.
(٦) الطبري، تاريخ، ٤/ ١٥٧.

الفتوحات الإسلامية في بلاد الخزر:

وبعد أن أقر عمر بن الخطاب استخلاف عبد الرحمن بن ربيعة على شمال القوقاز _ الباب (الدربند)[١] ــ أمده بجيش كبير، وأمره بفتح ماتبقي من شمال القوقاز وتحديدا غزو بلاد الخزر، فأمتثل عبد الرحمن لأمر عمر وخرج بجموع جيشه قاصداً بلاد الخزر، وقابل في الطريق حاكم أران الذي أسدي إلي عبد الرحمن نصيحة عن شدة وبأس هؤلاء الخزر في القتال[٢]، وقال له: إنا لنرضي منهم دون هذا الباب – (وهي دلالة على مدي خوف سكان الإقليم من هؤلاء الخزر) – فرد عليه عبد الرحمن في عزة وأنفة: تا الله إن معنا أقواماً لو يأذن لهم أميرنا لبلغنا بهم الروم في ديارهم، فقال له:– ومن هم قال: قم قوم صحبوا رسول الله صلي الله عليه وسلم، دخلوا هذا الدين بنية، وكانوا أصحاب حياء وتكرم في الجاهلية، فازداد حياؤهم وتكرمهم، فلا يزال دائماً النصر والأمر لهم حتى يغيرهم من يغلبهم حتى يلفتوا عن حالهم "!

ولم يأبه عبد الرحمن للنصيحة التي أبداها له هذا الحاكم وتقدم بقواته باتجاه الخزر، ونازلهم في عدة معارك خرج منها جميعاً منتصراً، وتوغل في بلادهم، واستولي علي عدد كبير من مدنهم الرئيسية، وساقهم أمامه، حتى وصلت خيوله مدينة البيضا[٣].

وقد أظهر المسلمون في تلك المعارك شجاعة شديدة وبلغ من شدة بأس المسلمين في هذه المعارك أن قد سري الرعب في نفوس الخزر حتى شارع بينهم أن المسلمين لا يموتون، ولا سبيل للأسلحة التي معهم، وما تجرأوا عليهم إلا ومعهم الملائكة تمنعهم من الموت، ولكن لم يستثمر المسلمون تلك الفتوحات

---

(١) العسقلاني، الإصابة،٢/٣٣٠.
(٢) الطبري : المصدر السابق،٤/١٨٥ ؛ ابن عساكر: أبو القاسم علي بن الحسن بن وهبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر، تاريخ دمشق، دمشق، المجمع العلمي، ج١/ ١٧٨.
(٣) الطبري : المصدر السابق،٤/ ١٥٨ ؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق،١/ ١٨.
البلنجر والبيضا وترغوا : أشهر مدن الخزر وبلنجر هي عاصمة بلادهم وأكبر مدنهم وكانت البلنجر تدعي إتل عنها انظر : اليعقوبي : تاريخ،١/١٧٨ ؛ الحموي، معجم البلدان،٢/١٢.

بإقامة قواعد متقدمة في بلاد الخزر وسرعان ما عاد عبد الرحمن إلي جنوب القوقاز وإلي قواعدة الدائمة في أردبيل مكتفيا بما حققه من إنتصارات علي الخزر(١).

وعلى ما يبدو أن حملات المسلمين على مناطق الجبال في أذربيجان لم تكن فتحاً منظماً بالمعني الكامل، إذ أن هذه القوات ما لبثت أن عادت إلي مراكزها الرئيسية في أردبيل، بعد أن ارتضوا من حكام هذه المناطق بالجزية والاعتراف بسيادتهم على هذه المناطق، ولم تتعد هذه الحملات كونها مجرد حملات استطلاعية لاستكشاف المنطقة ودراسة جغرافيتها تمهيداً لإعادة فتحها فتحاً منظماً في مراحل لاحقة، ولقادة المسلمين كامل الحق في هذا الأمر إذ أن معلوماتهم عن هذه المناطق تعتبر شبه معدومة لتنائي أطرافها وطبيعتها الجبلية الوعرة، وصعوبة تأقلم المسلمين مع مناخها القارص البرودة، وهذه أسباب تشكل عائقاً أمام استقرار ومرابطة القوات الإسلامية على الأقل في هذه المرحلة المبكرة.

عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه (٢٣ – ٣٥ هـ / ٦٤٤ – ٦٥٦م)

وفي عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه (٢٣ – ٣٥هـ / ٦٤٤ – ٦٥٦م) حدث تغير كبير في الخريطة السياسية والعسكرية للدولة الإسلامية، طال هذا التغيير مناطق القوقاز، إذ تم تعيين الوليد بن عقبة بن أبي معيط(٢) والياً على الكوفة، واستناب بدوره

(١) ابن الأثير : الكامل،٢/٤٣١ ؛ رفيق العظم : أشهر مشاهير الإسلام في الحرب والسياسة – ط٢ – القاهرة – دار الفكر العربي، صـ٦٦٤ ؛ عبد الوهاب النجار، تاريخ الإسلام الخلفاء الراشدون – القاهرة – المطبعة السلفية – ١٣٤٨ هـ – صـ١٩٧.

(٢) الوليد بن عقبة : أخو عثمان بن عفان لأمه اسلم يوم فتح مكة، تولي لأبي بكر صدقات بني المصطلق وكتابه الرسائل الحربية، ولعمر صدقات تغلب وقيادة بعض الفرق العسكرية. وللمزيد انظر : ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٦/ ٢٤ ؛ ابن نباته: جمال الدين محمد بن نباته المصري ت ٧٦٨هـ/١٣٦٧م، سرح العيون شرح رسالة ابن زيدون، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، المكتبة المصرية ١٩٨٨م، صـ٢٤٩ ؛ السيد عبد العزيز =

على القوقاز الأشعث بن قيس الكندي[١].

وفي مستهل عهد الخليفة عثمان بن عفان وفي ٢٤ – ٢٥ هـ / ٦٤٥م اضطرت الخلافة الإسلامية التعامل بحزم مع مناطق القوقاز بعدما تكررت حالات الثورة والعصيان علي طاعة الدولة الإسلامية، فزحفت قوات المسلمين على جنوب القوقاز وتحديدا إلي أرمينية، حيث عبرت نهر الرس ناقلين الحرب إلي قلب أرمينية بقيادة سلمان بن ربيعة الباهلي، الذي انتقل إليها بقواته من أذربيجان، وكان عدد هذه الحملة كبيرا يعكس مدي اهتمام الدولة الإسلامية بالإقليم فبلغ عدد الجيش اثني عشر ألفاً من المقاتلة، وسار في أرمينية وخاض عدة معارك مع سكانها خرج منها منتصراً[٢]، ثم لم يلبث أن عاد إلي الكوفة بعد أن حقق مبتغاه وهو إخماد ثورة الأرمن.

وهذا دليل علي أن السياسة المتبعة مع سكان القوقاز لم تكن المثلي، فلم يلبث الأرمن أن ثاروا علي الدولة الإسلامية رافعين راية العصيان في عدد من مدن أرمينية بعد عودة القوات الإسلامية إلي أردبيل، وظهر جليا دور بيزنطة المحرض والمدعم علي ذلك العصيان، فاضطر الخليفة عثمان بن عفان أن يرسل إلي معاوية بن أبي سفيان عامله على الشام أن يرسل حبيب بن مسلمة في جمع من أهل الشام غازياً إلي أرمينية[٣] فأتي حبيب أرمينية وبدأ بمدينة قاليقلا[٤] حيث حاصرها وضيق عليها الخناق فطلب أهلها الصلح على الجزية والأمان أو

=سالم، تاريخ العرب منذ ظهور الإسلام حتى سقوط الدولة الأموية، ط القاهرة ــ مؤسسة الثقافة الجامعية، ١٩٧٤م، صـ٢٧٧.

(١) الأشعث بن قيس : أسلم سنه ١٠هـ / ٦٣١م، وكان ممن ارتد، ثم عاد إلي الإسلام، شهد اليرموك والقادسية، وجلولاء ونهاوند، للمزيد انظر : ابن سعد، الطبقات ، ٦/ ٢٢ ؛ الديار بكري، تاريخ الخميس، ٢/ ٢٨٩ .

(٢) الطبري : المصدر السابق،٤/ ٢٤٦ ؛ البلاذري : فتوح البلادان – ص ١٣٨.

(٣) البلاذري : فتوح البلدان – ص ٣٠٢ ؛ فايز اسكندر : غزو الإمبراطورية البيزنطية الأرمينية – ص ٦؛ لي استارجيان : تاريخ الأمة الأرمينية – ص ١٦٤.

(٤) قاليقلا : وهي مدينة كبيرة بأرمينية وكانت قد بنتها ملكة تدعي قالي، وقاليقلا تعني إحسان قالي ثم عربت قاليقلا عنها. انظر :- الحموى، معجم البلدان،١٧/٧ .

الجلاء، وجلا كثير منهم من المدينة ولحقوا ببلاد بيزنطة، وأقام حبيب في هذه المدينة أشهراً[١].

ثم انتقل حبيب بن مسلمة إلي أخلاط[٢] ثم إلي مدينة تفليس، وافتتح عدة حصون إلي جوارها، وعقد لهم صلحاً نص على:

١- أن يعطوا الأمان على أنفسهم ومللهم وشرائعهم وأموالهم.
٢- الاعتراف بالسيادة الإسلامية على تفليس.
٣- فرض الجزية على كل بيت دينار، ولا يفرق المسلمون بينها استكثاراً لها.
٤- أن يقدم أهل تفليس والمناطق المجاورة لها يد المساعدة للمسلمين في حروبهم ضد أعدائهم.
٥- عليهم إرشاد ودلالة المسلم الضال وقريه يوماً وليلة وإطعامه من طعام أهل الكتاب.
٦- إذا غلب المسلمون ولم يستطيعوا الدفاع عنهم توضع الجزية[٣].

وكان علي الدولة الإسلامية أن تجني ثمار سياستها الخاطئة في جنوب القوقاز، فعدم وجود فعلي وقوي للمسلمين في هذه المنطقة دفع الخزر وبيزنطة أن يدلوا بدلوهما في إذكاء روح العصيان والثورة في القوقاز، فقد أضطرت الظروف حبيب بن مسلمة أن يتوجه علي وجه السرعة إلي بحيرة أرجيش[٤]، حيث كانت قد تجمعت جيوش بيزنطة تساندها جيوش من الخزر وبعد كر وفر ومعارك متوالية استطاع حبيب بن مسلمة وجيشه أن يوقع الهزيمة النكراء بهذه

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٠٢ ؛ فايز إسكندر، الفتوحات الإسلامية لبلاد الكرج، ص ٤٤ ؛ مروان المدور، الأرمن عبر التاريخ، ص ١٩٩.
(٢) أخلاط. وهي إحدى مدن أرمينية تقع بالقرب من بحيرة وان (أرجيش) وبينها وبين قاليقلا. انظر: الحموي،: معجم،١٧/٧.
(٣) البلاذري : فتوح البلدان – ص ٢٠٤ ؛ لي استاجيان، تاريخ الأمة الأرمينية، ص ١٦٤.
(٤) بحيرة أرجيش : وتعرف أيضاً ببحيرة الطريخ نسبة إلي سمك الطريخ الذي يستخرج منها بكثرة حتى يكاد يمسك بالأيدي في موسمه، وهذه البحيرة تقع جنوب الإقليم في أرمينية ويحيط بها عدد من المدن المشهورة – النويري، نهاية الأرب،١/ ٢٥٠ ؛ الحموي، معجم البلدان،١٨٨/١.

الجموع[١] وكان علي الدولة الإسلامية أن تؤمن وجودها في جنوب القوقاز بإجراء عملية مسح شاملة لمناطق جبال القوقاز فأرسل حبيب بن مسلمة إلي أرجيش عدة حملات وإلي المناطق المجاورة لها، ودان له أمراء أخلاط، وسلمت له مدينة أرجيش، ودانت له جميع المدن التي تقع على بحيرة أرجيش[٢].

وما كاد حبيب ينتهي من مناطق جبال القوقاز حتي علم بأن مدينة دبيل ــ عاصمة أرمينية ــ قد شقت عصا الطاعة وساندتها بيزنطة بالمال والعتاد، فجرد إليها حملة عسكرية كبيرة علي وجه السرعة، وعلي مايبدو أن البيزنطيين قد تخلوا عن الأرمن في الوقت الحرج، مما جعلهم يسارعون في طلب التصالح مع المسلمين، فحينما علم بطريقها[٣] بقدوم هذه الحملة أسرع إلي حبيب بن مسلمة خوفاً على نفسه وبلاده – مذعناً بالطاعة طالبا الصلح فعقد له حبيب صلحاً نص على:

١- يمنح أهل دبيل الأمان على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم.
٢- يسمح لهم بحرية العبادة.
٣- تفرض عليهم الجزية مقابل ذلك[٤].

وبعد استقرار الأوضاع في دبيل انتقل حبيب إلي مدينة النشوي[٥]، وعقد لهم صلحاً مثل صلح دبيل[٦].

ثم إن حبيب عرج شمالا باتجاه شمال القوقاز، من أجل إحكام السيطرة الإسلامية علي تلك المناطق، وعلي مايبدو أن سكان تلك المناطق قد شعروا بمدي قوة الدولة الإسلامية وخشوا بأسها فسارعوا إلي تقديم فروض الولاء والطاعة

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٠٤ ؛ الكوفي: أحمد بن محمد بن أعثم الكوفي ت ٣٧٤هـ/ ٩٢٣م، الفتوح، الطبعة الأولى، بيروت، دار الندوة الجديدة، ج١١٦/٢ .
(٢) البلاذري : فتوح البلدان، ص ٢٠٤.
(٣) البطريق : وهو القائد من قواد الجيش ويكون تحت أمرته عشرة آلاف مقاتل. الخوارزمي، مفاتح العلوم، ص ٧٨.
(٤) البلاذري : فتوح البلدان – ص ٢٠٤ ؛ الكوفي: الفتوح،١١٦/٢.
(٥) النشوي: مدينة بأذربيجان وتسمي أيضاً نفجوان كانت قد بناها كسري أنوشروان انظر : ابن حوقل: صورة،٢/ ٣٤٢.
(٦) البلاذري : فتوح، ص ٢٠٣ ؛ ابن الأثير، الكامل،٤٧٧/٢.

فقدم علي حبيبن مسلمة قائد البسفرجان[١]، فصالحه على جميع بلاده على قدر من المال[٢] يؤدويه سنوياً[٣]، ثم انتقل حبيب نحو الشيشجان الذين طلبوا الصلح على مال يؤدونه، ثم انتقل إلي جرزان[٤] حيث كان جموع القوقازيين قد وقفت علي أهبة الإستعداد لأخذ القوات الإسلامية علي حين غرة، فعند منطقة ذات اللجم[٥] مالت القوات الإسلامية إلي الدعة والراحة وسرح الجيش بعض خيوله ودوابه وجمعوا لجامها، فخرج عليهم أهل القوقاز ففاجؤهم وأخذوهم على غرة وأخذوا تلك اللجم وحملوا معهم ما قدروا عليه من الغنائم والأسلاب والدواب، غير أن المسلمين جمعوا شتات أمرهم وكروا عليهم واستردوا ما أخذواه منهم، وأوقعوا بهم الهزيمة، ومنذ ذلك الوقت ويسمي هذا الموضع ذات اللجم[٦].

وعلي ما يبدو أن القوقازيين قد ندموا علي ماكان منهم، فأسرعوا إلي تقديم فروض الولاء والطاعة للمسلمين فقد جاء بطريق "جرزان" ووجوه أهلها إلي حبيب بن مسلمة يسألونه الصلح[٧] فكتب لهم عقد أمان وصلح نص على:

١- أن يمنحوا الأمان على أموالهم وكنائسهم وأنفسهم وشرائعهم.
٢- أن يدفعوا الجزية ديناراً على الفرد البالغ العاقل القادر.
٣- أرسل معهم أحد الفقهاء لكي يعلمهم شرائع الإسلام[٨].

وإذا كان حبيب بن مسلمة قد فرض السيطرة الإسلامية علي مناطق شمال القوقاز فإن جنوب القوقاز وتحديدا أرمينية قد عادت من جديد إلي الثورة وخلع الطاعة الإسلامية، وللحقيقه أنه لم يكن للأرمن أن تتكرر ثوراتهم علي هذا النحو

(١) البسفرجان هي منطقة كبيرة وعاصمتها هي النشوي. الحموي، معجم،١/٢٠٤ .
(٢) لم تذكر المصادر سواء العربية أو الأجنبية قيمة هذه الأموال أو الجزية التي فرضت على أهل البسفرجان.
(٣) البلاذري، فتوح البلادان، ص ٢٠٤ .
(٤) جرزان : منطقة واسعة في الإقليم عاصمتها تفليس وكان فتحها على يد حبيب – انظر. الحموي، معجم البلدان: ج٣/ ٨٣.
(٥) ذات اللجم سميت هذه المنطقة بهذا الاسم نسبة إلي الأحداث التي وقعت في هذه المعركة. البلاذري : فتوح البلدان، ص ٢٠٤.
(٦) البلاذري : نفس المصدر، ص ٢٠٤.
(٧) الطبري : تاريخ،٤/ ٢٦٣.
(٨) الديار بكري، تاريخ الخميس،١/٢٥٥.

وفي فترات متقاربة لولا المساعدة التي كانت تتلقاها دائما من الخزر وبيزنطة، ففي الوقت الذي كانت القوات الإسلامية تحكم سيطرتها علي مناطق القوقاز الشمالية إذا بالأخبار تأتي إلي حبيب بأن بطريق أرمينية قد جمع جموعا كثيرة من الأرمن وحلفائهم الخزر وسكان القوقاز وجيش بيزنطي مكون من ثمانين ألفا من الجنود،وأن هذه القوات تتحفز لمناجزة المسلمين(١).

وفي بداية الأمر قدر حبيب أن القوات الإسلامية في قلة وأن حشود الأرمن وحلفاءهم تفوقه عددا وعدة فقرر أن يكتب إلي عثمان بن عفان وأن يستمده بجيش آخر لمواجهة هذه الحشود الكبيرة، فأرسل عثمان بن عفان إلي الوليد بن عقبة بن أبي معيط والي الكوفة أن ينتخب من أهل الكوفة عشرة آلاف فارس ويبعث بهم إلي حبيب بن مسلمة وأن يجعل عليهم سلمان بن ربيعة الباهلي معونة لأهل الشام على عدوهم، وما أن ورد كتاب عثمان إلي الوليد إلا وقام في الناس خطيبا وحثهم على الجهاد في سبيل الله وأن يشخصوا تحت إمرة سلمان بن ربيعة الباهلي، فخرج سلمان بمن معه إلي حبيب بن مسلمة(٢)، وعلي مايبدو أن حبيب بن مسلمة وجد في جيش الأرمن نقطة ضعف فأراد أن يستغلها فشن هجوماً مباغتا على هؤلاء المتجمعين من الأرمن والخزر والبيزنطيين وأهل القوقاز، وأخذهم علي حين غرة، وأوقع بينهم الهرج والمرج، وركبوا أكتافهم، واستطاع ومن معه أن يوقع بهم الهزيمة النكراء، واقتسموا الغنائم فيما بينهم(٣).

فلما أتي سلمان بمن معه من أهل العراق وجدوا أهل الشام قد فراغوا من المعركة وقسموا الغنائم بينهم، فطالب سلمان أن يشتركوا معهم في الغنائم فرفض

(١) ابن الشحنة: محب الدين محمد بن الشحنة الحلبي، الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، بيروت ــ المطبعة الكاثوليكية ١٩٠٩م، صـ١٩٨.

(٢) الكوفي: الفتوح،١٢٢/١ ؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٤٨ – ١٤٩، حسن إبراهيم حسن، حسن، تاريخ الإسلام السياسي،١/ ٧٧.

(٣) ابن الدم الحموي: القاضي شهاب الدين إبراهيم بن الدم الحموي ت ٦٤٢هـ، التاريخ الإسلامي المعروف بالتاريخ المظفري، تحقيق حامد زيان عاصم – القاهرة – دار الثقافة للطبع والنشر ١٩٨٩م، ج١/ ١٥٧.

حبيب وأهل الشام فوقع الكلام بينهم[١]، فأرسل حبيب إلي عثمان يستشيره فأشار عليه باقتسام الغنائم بينهم وبين أهل العراق[٢].

وقد نجحت هذه الحملة نجاحاً كبيراً وتحققت منها مكاسب كثيرة، أهمها أن القوقاز الجنوبي قد نالت استقراراً كبيراً تجلي ذلك في قيام الأشعث بن قيس بعمل له أهميته الكبيرة، حيث ذكر البلاذري[٣] أنه قام بإسكان مدينة أردبيل أناساً من العرب المسلمين وأمرهم بدعوة الناس للإسلام.

وهذا العمل له أهميته من الوجهة السياسية والعسكرية، إذ أن استيطان العرب القوقاز الجنوبي يعني تأمين المكاسب السياسية للدولة الإسلامية ضد محاولات التمرد من سكان المدينة والمناطق المجاورة لها، ومما لا شك فيه أن هؤلاء السكان الجدد – في حالات الطوارئ – سيكونون مستودعاً لمد الجيوش الإسلامية بما يحتاجونه من جنود.

ومن الوجهة العقدية يكتسب أهميته من أن الهدف الأساسي هو دعوة الناس للإسلام عن طريق الاتصال المباشر والمعايشة المنفتحة.

وتعتبر هذه الخطوة تغييراً في مجري العلاقات بين الدولة الإسلامية وبين سكان القوقاز لأن الدولة الإسلامية لم تعد تخاطب القوقاز من خلال ممثل سياسي لها قد يكون من مصلحته حجب الرغبة الحقيقية لسكانها عن الدولة الإسلامية، بل عمدت إلي الاتصال المباشر بالسكان لا على المستوي السياسي أو الرسمي بل عن طريق القاعدة العريضة وأغلبية الناس.

ومما لا شك فيه أن وجود المسلمين في بلاد القوقاز ومخالطتهم لأهلها أدي لزيادة اعتناق أهل القوقاز للإسلام وذلك لما لمسوه في المسلمين من سماحة وحسن معاشرة وبر وعدل، حيث لم يكن فتح المسلمين لهذه البلاد مجرد

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٤٨ – ١٤٩ .
(٢) انظر : البلاذري : فتوح البلدان – ص ٤٨ – ١٤٩ ؛ الكوفي، الفتوح،١٢٢/٢.
(٣) فتوح البلدان، ص ٣٢٤.

فتوحات عسكرية لاستغلال الشعوب علي طريقة الإستعمار الأوربي في العصر الحديث، إنما كان فتحا دينيا لغويا وثقافيا.

ومن الجدير بالذكر أن انتقاضات أهل القوقاز لا ترجع إلي ظلم وقع عليهم من المسلمين ولكنه الشعور القومي الذي كان لديهم في ذلك الوقت قويا غلابا، وربما كان عند الكثير منهم فوق المنافع والمصالح، ولا يغيب عن بالنا أن أمة عريقة الحضارة والمجد كأمة الفرس لن تذعن منذ باديء الأمر لسلطان الأجانب عنها، وقد احتاط المسلمون لكل انتفاضة يمكن أن تقوم بها طائفة من أبناء القوقاز وأقاموا المسالح في شتي أرجائها لإدراك المسلمين أن الشعور بالكرامة أقوي أثرا في النفوس من كل شعور، ولن تستطيع كبحه إلا قوة تضطر الثائر لمهانة نزلت به أن يختار بين كرامته وحياته وتجعل الشعور بالكرامة وغريزة الحياة يقفان وجها لوجه....ولقد كان لهذه الوقفة أثر بعيد في حياة الشعب القوقازي أدت به أن يدين بالدين الإسلامي، ومع هذا كان الشعور القومي باعثا علي الثورات والانتفاضات خصوصا في فترات الضعف وعدم الاستقرار التي مرت بها الدولة الإسلامية(١).

ومن مظاهر نجاح هذه الحملة ونتائج الاستقرار الذي تعيشه القوقاز أن بدأ الأشعث بن قيس يسير الحملات لمناجزة المدن القريبة من جنوب القوقاز، إذ خرج سلمان بن ربيعة إلي مدينة البيلقان(٢) واستولي عليها وفرض عليها الإقرار بصغار الجزية، ثم واصل سيره نحو مدينة برذغة(٣) وخاض على أبوابها معركة حامية بعد أن استعصت عليه فضرب عليها الحصار إلي أن اضطرها إلي الإقرار

(١) د/ فايز إسكندر: مرجع سبق ذكره صـ٤٥.
(٢) البيلقان : تقع إلي الشمال من أذربيجان وهي من بناء بيلقان بن أرمني بن لنطي، وأعيد بناؤها في عهد الملك الفارس قباذ، عن ذلك انظر : الحموي، معجم البلدان، مجـ١، ص ٤١٩، لي استرنج، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة: بشير فرانسيس ــ كوركيس عواد ــ بيروت ــ مؤسسة الرسالة، صـ٢١٢.
(٣) برذغة : إلي الشمال من أذربيجان وكانت قديما تدعي برده دار، وهي من بناء الملك الفارسي قباذ، عن ذلك انظر : الحموي، معجم البلدان، ١/ ٣٠٠ – ٣٠٢.

بالجزية السنوية، ثم انتقل إلي القلاع والحصون الواقعة في جبال القوقاز[١] وألزمهم الدخول في طاعة الدولة الإسلامية وأعاد فرض الجزية على هذه المناطق، ومن ثم عاد سلمان إلي أذربيجان بجيشه بعد تحقيق هدفه[٢].

وبالرغم من أن المصادر لم تذكر لنا سبب القيام بهذه الحملة على مناطق الجبال، ولكن من المرجح أن هذه الحملة جاءت نتيجة إما نشاط عسكري لهذه المناطق يناوئ الحكم الإسلامي أو أنها قد نقضت عهودها السابقة مع الدولة الإسلامية، وهذا هو الأرجح، لأن هذه المناطق كانت أقرت سابقاً بالحكم الإسلامي لها مقابل الجزية السنوية وأن هذه المناطق اسمياً تعتبر خاضعة للدولة الإسلامية ولكن رسمياً وعسكرياً هي خارج نطاق هذه السيطرة لأن حكم المسلمين لها لم يكن مباشراً و دائماً ما يرتضون منهم دفع الجزية السنوية وهذا الوضع سوف يؤثر على المسلمين لاحقاً.

غزو أرمينية:

وفي عام ٢٩هـ – ٦٤٩م وعقد في دبيل مجمع ديني يهدف إلي إعادة أرمينية إلي حظيرة الكنائس البيزنطية[٣]، ورفض الأرمن هذه المحاولة وتمسكوا بمذهبهم اليعقوبي المونوفستي[٤] مما أغضب الإمبراطور البيزنطي وعزل تيودور الرشتوني عن الإقليم – بالرغم من أنه عين من قبل العرب – وعين عليها سمباط البجراطي واشتركا معا في حملة على القوات الإسلامية، غير أن معاوية بن أبي سفيان استطاع أن يوقع بهم الهزيمة النكراء، وعقد الصلح بين معاوية والأرمن نص على:

(١) دأب الجغرافيون والمؤرخون العرب الأوائل على تسمية مجموعة الحصون والقلاع الواقعة في جبال القوقاز على أنها مدن وتسمية حكماها بالملوك، مع أنها حصون أو قلاع صغيرة أمثال قلعة الشابران واللكز وفيلان وطبرسران، وشروان وشهبوش، عن ذلك انظر : اليعقوبي، ٢/ ١٦٨ ؛ الحموي، معجم البلدان، ١/ ١٩٧.
(٢) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٢/ ١٦٨.
(٣) صابر دياب : أرمينية – ص ٣٥ – ٣٦.
(٤) صابر دياب، أرمينية، ص ٣٥ – ٣٦.

١- عدم فرض الجزية على الأرمن مدة ثلاث سنوات.
٢- أن يقدم الأرمن ما يقدرون عليه للدولة الإسلامية من أموال خلال فترة الاتفاق.
٣- يجهز الأرمن قوة من الفرسان قوامها ١٥ ألف فارس يساعدون الدولة الإسلامية في حروبها على أن لا يذهبوا للقتال في الشام أو داخل الدولة الإسلامية.
٤- يعين على أرمينية وأران حاكماً محليا.
٥- لا يأوي الأرمن في بلادهم عدوا للمسلمين ولا يساعدوه.
٦- يتعهد المسلمون بمساعدة أهل الإقليم ضد أعدائهم لاسيما بيزنطة.

من صيغة هذا الاتفاق يبدو أن معاوية بن أبي سفيان أراد أن يستغل الشقاق بين أرمينية وبيزنطة، ويزيد من شقة الاختلاف بينهما، فأعطي الإقليم تسهيلات كبيرة من قبيل إعفائهم من دفع الجزية ثلاث سنوات ولا يعين عليهم حاكم مسلم بل محلي، والأكثر من ذلك هو تعهد معاوية الدفاع عن الأرمن ضد بيزنطة مما يدل على مدي الخلاف بين أرمينية وبيزنطة، ويتضح لنا من تصرفات معاوية بن أبي سفيان مع أهالي هذه البلاد أن سيدنا عثمان قد أعطاه وسمح له بالتصرف معهم بما يراه مناسبًا مراعاة لمصلحة الإسلام والمسلمين، ولحال هذه البلاد ؛ ولذلك أسرع الأرمن إلي قبول هذا الصلح لما فيه من تنازلات لهم ولخوفهم من بيزنطة وعدم الاطمئنان لها، وضماناً لجديتهم في تنفيذ الاتفاق وعدم نقضه كما كان عهدهم أرسلوا الأميران سمباط البجراطي وجريجور الأول ما ميكونيان كرهينتين إلي معاوية بن أبي سفيان وعين تيودرو الرشتوني حاكماً على أرمينية(١).

وأثار هذا الاتفاق حفيظة بيزنطة مما جعل الإمبراطور البيزنطي يجرد حملة عسكرية إلي الإقليم دون أن يأبه بتحذيرات معاوية بن أبي سفيان أن الإقليم إنما هو تحت الحكم العربي، وأرسل جيشاً دخل دبيل واستولي عليها، وعزل تيودر

(١) صابر دياب، أرمينية – ص ٣٧.

الرشتوني وولي عليها القائد موشيل ماميكونيان، وهدد الأمراء الأرمن فاذعنوا له وأعلنوا الطاعة[١] عدا تيودور الرشتوني الذي ظل على ولائه للعرب وهرب إلي بحيرة وان وأيده في ذلك حكام أران والشيشجان والبلاشجان[٢]، وظلوا على ولائهم للعرب واستطاعوا باتحادهم ومهارة تيودر الرشتوني من إعادة سيطرة العرب على الإقليم مرة ثانية بعد هزيمة الحامية البيزنطية عند أرزن[٣].

غزو بلاد الخزر

◆ موقعة بلنجر:

بعد هذه الانتصارات المتلاحقة التي حققها المسلمون مع خصومهم على الجبهة العسكرية سواء مع الخزر أو سكان القوقاز أو الأرمن أو تحالفهم جميعاً، بدأ المسلمون يفكرون جدياً في إحياء فكرة غزو بلاد الخزر والتي كانت قد تعطلت لوفاة عمر بن الخطاب، ففي سنة ٣٢هـ / ٦٥٢م صدرت الأوامر لصاحب الفكرة عبد الرحمن بن ربيعة بغزو بلاد الخزر، فتقدم بالجيش وعبر جبال القوقاز إلي مدينة باب الأبواب، وعلى الجبهة الأخرى حيث استعد الخزر لهذه الموقعة أتم استعداد، وما أن وصل عبد الرحمن مدينة البلنجر وجد نفسه أمام جموع هائلة لا قبل له بها واستعداداً حربياً يفوقه عدداً وعدة، ومع ذلك التحم معهم في معركة فاصلة تمخضت عن هزيمة جيش الخلافة ومقتل عدد كبير من المسلمين[٤] وفرار

(١) ابن الدم الحموي، التاريخ الإسلامي،١٦١/١ ؛ العريني: السيد الباز العريني، الدولة البيزنطية، القاهرة دار النهضة العربية ١٩٣٧م، صـ١٢٧.
(٢) ابن الدم الحموي، التاريخ الإسلامي، ١٢٧/١ ؛ العريني : الدولة البيزنطية – ص ١٢٧.
(٣) ابن الدم الحموي : التاريخ الإسلامي،١/ ١٦١ ؛ العريني : الدولة البيزنطية – ص ١٢٧ ؛ إبراهيم العدوى، الأمويون والبيزنطيون في شرق البحر المتوسط ــ القاهرة ــ مكتبة الأنجلو المصرية، صـ١١٦.
(٤) اشترك في هذه الحملة عدد كبير من الصحابة والصالحين أمثال سلمان الفارسي وأبو هريرة ويزيد بن معاوية النخعي، ومعضد الشيباني وعمرو بن عتبة، وأظهر هؤلاء الصحابة في المعركة دروباً من الشجاعة والإقدام، واستشهد عدد كبير منهم في هذه المعركة ودفن= = بعضهم بالقرب من مدينة البلنجر. عن تفاصيل ذلك انظر : الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٢/ ٦٢٧ – ٦٢٩ ؛ ابن الأثير، الكامل، ١٣١/٣ – ١٣٣.

قلة قليلة منهم إلي مدن شمال القوقاز وجيلان وجرجان بل ومقتل قائد الجيش عبد الرحمن بن ربيعة[١].

وبقراءة سريعة في خلفية وأسباب هزيمة البلنجر نذكر أن الطبري[٢] وابن الأثير[٣] قد ذكرا لنا سبباً للهزيمة في هذه الموقعة، وتمثل في تبدل أحوال الناس في عهد عثمان بن عفان بما أصابهم من البطر ولاستعماله من كان قد ارتد – يقصد الأشعث بن قيس – استصلاحاً لهم فلم يصلحهم ذلك، ولكن هناك عوامل وأسباب أخرى نري أنها كانت وراء هذه الهزيمة فكانت حملات المسلمين الأولي قبيل عهد عثمان بن عفان بمثابة حملات استطلاعية لمعرفة طبيعة وجغرافيا المنطقة وليس فتحاً منظماً، الهدف منه إخضاع المنطقة خضوعاً كاملاً، وإن كانوا يرتضون من حكام هذه المناطق – خاصة الخزر والقوقاز – بالجزية ويتركون حكم تلك المناطق لحكام محليين، كما أن الجيوش الإسلامية كانت سرعان ما تعود إلي مراكزها الرئيسية سواء أكان في أذربيجان أو الكوفة، وكان لقلة عدد جنود المسلمين في مواجهة خصومهم لا سيما في مواجهة جحافل الخزر دور، إذ أن أعداد المسلمين دائماً ما كانت قليلة في مواجهة الخزر معتمدين في ذلك على شجاعتهم وحماستهم الدينية، كما أن تنائي أطراف البلاد المفتوحة وبعدها عن مستودع القوة والإمداد كالكوفة والبصرة والشام، أضف إلي ذلك ظهور نوع جديد من المقاومة تمثل في تحالف الخزر مع الأرمن والقوقاز وفي بعض الأحيان مع البيزنطيين، ذلك بخلاف طبيعة المنطقة الجبلية والطقس القارص الذي لم يعتد عليه المسلمون، وهناك سبب شخصي يعود إلي طبيعة عبد الرحمن بن ربيعة الذي تغلب عليه الحماسة أحياناً بحثاً عن نشر الإسلام انطلاقاً من ثوابت دينية وهذا ما جعله لا يأخذ بنصيحة شهربراز حاكم مدينة باب الأبواب من ذي قبل، كما حذره أمير المؤمنين عثمان بن عفان من الإقبال على هذه الخطوة[٤] ونري أن

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٢/ ٦٢٧ – ٦٢٩ ؛ ابن الأثير، الكامل، ٣/ ١٣١ – ١٣٣.
(٢) تاريخ الأمم والملوك، ٢/ ٥٤٠ – ٥٤٣.
(٣) الكامل في التاريخ، ٣/ ٢٩ – ٣٠.
(٤) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٢/ ٦٢٧ – ٦٢٩ ؛ ابن الأثير، الكامل، ٣/١٣١ – ١٣٣.

هذه العوامل كانت سبباً في وقوع مثل هذه الهزيمة وما يترتب على ذلك من حدوث حالة من الاختزال والانكماش في المد الإسلامي نحو بلاد القوقاز.

وحينما علم أمير المؤمنين عثمان بذلك حزن حزناً شديداً على ما جري لجيش المسلمين، واستشعر الخطر المحدق بالمسلمين في بلاد القوقاز فكتب إلي حبيب بن مسلمة الفهري يأمره بالمسير إلي بلاد الخزر، فاجتمع إليه ستة آلاف جندي وسار بهم، وكان الخزر قد استغلوا انتصارهم علي المسلمين وفرار فلولهم واستولوا على مدينة أخلاط، فاتجه حبيب إليها ومن معه وأخرجهم منها واستولي عليها بعد حصار دام أياماً[١]؛ وقتل من كان بها من الحامية الخزرية، واستخلف عليها بعض قادته ثم انتقل منها[٢] إلي جرزان شمال الإقليم، واستعاد السيطرة عليها[٣]، ثم جدد عقد الصلح مع الأرمن على:

١- أن تعترف الدولة الإسلامية باستقلال أرمينية.
٢- أن يذعن سكان الإقليم للسيطرة الإسلامية عليهم بالشروط التي سبق فرضها على الفرس.
٣- أن يعين العرب حاكماً محلياً من الأرمن على أرمينية.
٤- تجهز أرمينية وحدة من فرسانها وتضعها تحت تصرف المسلمين لتحارب معهم، وكانت وحدة الأرمن تتكون من ١٥ ألف مقاتل على ألا يذهبوا للقتال في الشام.
٥- أن يدفع الإقليم ثمانية آلاف درهم سنوياً[٤].

وبعد نجاح حبيب بن مسلمة من فرض سيطرة المسلمين على القوقاز مرة ثانية، عزله عثمان بن عفان عن الإقليم[١] وولي عليه الأشعث بن قيس[٢].

---

(١) الكوفي : الفتوح، ٢/ ١١٢ – ١١٣ ؛ ابن خلدون، تاريخ،٢/٥٨٥ ، ابن العربي: القاضي أبو بكر بن العربي ت ٥٤٣هـ، العواصم من القواصم تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ، تحقيق: محب الدين الخطيب ــ طبع الدار السلفية ــ الطبعة الخامسة ١٣٩٩هـ، صـ٢٢٤.
(٢) الكوفي : الفتوح،٢/ ١١٢ – ١١٣.
(٣) ابن الأثير : الكامل،٣/٢٥.
(٤) البلاذري : فتوح البلدان – ص ١٣٨ ؛ الحموي : معجم البلدان،٣/١٢ .

وعادت أذربيجان مع بداية حكم الأشعث بن قيس إلي الانتفاض وإعلان الثورة على الدولة الإسلامية وساندها في ذلك الخزر غير أن سعيد بن العاص استطاع أن يوقع بهذه الجموع الهزيمة النكراء(٣).

عهد علي بن أبي طالب (٣٧ ـ ٤٠هـ):

في بداية الفتوحات الإسلامية حقق المسلمون انتصارات كبيرة، نجحوا خلالها في الوصول إلي شمال القوقاز وبلاد الخزر والأناضول، وحتى وفاة الخليفة عثمان بن عفان كانت الأوضاع في هذه المناطق شبه مستقرة، ولم يكن بها من القلاقل ما يهدد سيطرة الدولة الإسلامية حتى تفشت القلاقل والفتن في ربوع العالم الإسلامي، ولم تلبث أن ازدادت عنفاً عقب مقتل الخليفة عثمان ابن عفان، ويبدو أن حالة الفتوحات الإسلامية في بلاد القوقاز قد توقفت خلال عهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ؛ لانشغاله بإخماد الفتن والاضطرابات التي نجمت بعد مقتل سيدنا عثمان بن عفان، وشغلت اهتمامات الدولة، ونشوب الحرب

---

(١) البلاذري : فتوح البلدان،ص ١١٤ ؛ ابن العربي، العواصم، ص ٢٢٤.

(٢) الأشعث بن قيس بن معد يكرب بن معاوية بن جبلة بن الحارث بن ربيعة بن معاوية بن الحارث، وسمي الأشعث نظراً لشعث في رأسه، ووفد الأشعث بن قيس على النبي ﷺ سنة عشرة للهجرة في وفد كندة وكانوا ستين رجلاً فأسلموا ورجعوا إلي اليمن، وكان ممن ارتد بعد وفاة النبي ﷺ فبعث أبو بكر الجنود إلي اليمن لمحاربتهم فأسروه واحضروه بين يدي أبي بكر فأسلم أمامه، وشهد اليرموك والقادسية وجلولاء ونهاوند وأبلي في هذه المعركة بلاءاً حسناً، وجاهد في الله حق جهاده، وشهد صفين مع على بن أبي طالب، وشهد الحكمين يوم دومة الجندل، وولي لعثمان عدة ولايات منها إقليم القوقاز ــ أرمينية وأذربيجان وأران ــ وكان الحسن ابن على رضي الله عنه قد تزوج ابنة الأشعث بن قيس، وروي الأشعث بن قيس الكندي عن رسول الله ﷺ حديثين اتفق البخاري ومسلم على إحداهما، ونزل الكوفة وأقام بها ومات بعد على بن أبي طالب بأربعين يوماً – عن الأشعث بن قيس انظر: السيوطي : الوسائل في معرفة الأوائل، ص ١٠٤ ؛ النووي، تهذيب الأسماء، ص ١٦٠ ؛ الديار بكري، تاريخ الخميس،٢٨٩/٢.

(٣) خليفة بن خياط، تاريخ. ص ١٦٣ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام، ٢/ ١٩٧.

الداخلية بين معاوية بن أبي سفيان الذي نادي بنفسه خليفة في دمشق وبين علي بن أبي طالب الذي تولي الخلافة في المدينة ثم الكوفة(١).

ومما لا شك فيه أن هذه الأحداث المسماة بالفتنة الكبرى (٣٥ – ٤١هـ / ٦٥٦ – ٦٦١م) قد أثرت بالسلب على مناطق القوقاز بعد أن قام معاوية بسحب قوات الشام بقيادة حبيب بن مسلمة من أرمينية والقوقاز، وقام علي بن أبي طالب باستدعاء الأشعث بن قيس بجزء من قواته من أذربيجان ليعضده في صراعه مع معاوية(٢).

وكأن العدو الرابض على حدود الدولة الإسلامية يتحين مثل هذه الفرصة، فاستغلت الدولة البيزنطية هذه الأحداث وخلو منطقة آسيا الوسطى والقوقاز من قوات يعتد بها، فتوغلت فيها سنة ٣٧هـ / ٦٥٧م وسيطرت على أجزاء شاسعة منها، وغدت المنطقة الممتدة ما بين بلاد الكرج حتى باب الأبواب خارج نطاق سيطرة الدولة الإسلامية(٣).

(١) وللمزيد انظر : ابن كثير، البداية والنهاية، ٧/ ٢٣٩ – ٢٦٣، د/ عبد الشافي عبد اللطيف: مرجع سبق ذكره صـ١٤٠.

(٢) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٢/ ٢٠٠ – ٢٠٢ ؛ إبراهيم العدوي، الأمويون والبيزنطيون، ص ١١٧.

(٣) العريني، الدولة البيزنطية، ص ١٢٩ ؛ إبراهيم العدوى ؛ فايز إسكندر، الفتح الإسلامي لبلاد الكرج، صـ٦٤ – ٦٥، د/ عبد الشافي عبد اللطيف: العالم الإسلامي في العصر الأموي صـ١٤١.

الفصل الثالث

الفتح الإسلامي لإقليم القوقاز

في عهد الدولة الأمويَّة

(٤١ / ١٣٢هـ ـ ٦٦١ / ٧٥٠م)

عهد معاوية بن أبي سفيان (٤١ – ٦٠هـ / ٦٦١ – ٦٨٠م)

وبعد انتهاء أحداث الفتنة سنة ٤١هـ / ٦٦١م بتنازل الحسن بن علي عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان (٤١-٦٠هـ / ٦٦١ – ٦٨٠م) كان من المتوقع أن يستأنف معاوية نشاطه الحربي الذي خبا بعد وفاة عثمان بن عفان ولكن من الملاحظ أنه لم يكن في عهده خاصة (بلاد المشرق) إلا فتوحات قليلة وفي غالبيتها محاولات لإرجاع الناكثين إلي طاعة الدولة الإسلامية، كما انصرفت جهود معاوية في هذا الإطار إلي القيام بالصوائف والشواتي على الحدود مع الدولة البيزنطية والاهتمام بالنواحي الحربية معها، كما أن العراق لم يكن خاضعاً خضوعاً كاملاً لسيطرة معاوية، مما يتيح له أن يسير الحملات من قاعدتي الفتوحات في المشرق البصرة والكوفة(١).

واستعاض معاوية عن هذا التقصير الحربي باستخدام مهاراته السياسية في الاهتمام بتأمين الوجود الإسلامي في مناطق جبال القوقاز، ففي عام ٤٢هـ / ٦٦٢م سلك مع حكام جبال القوقاز طرق الترهيب فأرسل إليهم يدعوهم إلي العودة إلي سيطرة الدولة الإسلامية ونبذ سيطرة بيزنطة، وتوعدهم إن لم يجيبوه، وكانت الأمور والظروف السياسية والعسكرية تصب في مصلحة الدولة الأموية بعد أن تعافت من الفتنة، فلم يجد هؤلاء الحكام بداً من إعلان الخضوع للدولة الأموية(٢).

وما أن صفا الحكم لمعاوية بن أبي سفيان حتى ولي وجهه شطر الإقليم لإعادة سيطرة المسلمين عليه، فأرسل حملة عسكرية بقيادة حبيب بن مسلمة سنة ٤٢هـ / ٦٦٢م فاستطاع فرض السيطرة على الإقليم، ثم أرسل حملة أخضع بها مناطق شمال القوقاز وتحديدا أران واللان(٣)، ثم قام معاوية بتعين عبد الله بن حاتم بن النعمان حاكما على الإقليم، وعلى أرمينية حاكم محلي هو جريجور

(١) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ج٢/٢٠٣ ؛ فايز إسكندر، الفتح الإسلامي لبلاد الكرج، ص ٦٧.
(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٣/ ١٧٣ ؛ ابن الأثير، الكامل، ٣/ ٤٢٠.
(٣) خليفة بن خياط، تاريخ، ص ٢٠٢، حسن إبراهيم حسن: مرجع سبق ذكره ج١ صـ، عبد الشافي عبد اللطيف: مرجع سبق ذكره صـ١٤٣.

ماميكوتيان[١]، ونعمت أرمينية في عهده باستقرار الأوضاع، فقد كان يتصف بالرفق والعدل في معاملة سكان الإقليم، كما كان يتسم بالولاء الشديد للعرب، فعقد اجتماعاً مع الأمراء الإقطاعيين ووجوه الإقليم لبحث شئون الإقليم وقرروا بالإجماع الاستمرار تحت السيادة الإسلامية والتمسك بالمعاهدات التي عقدت مع المسلمين، وقام جريجور بزيارة دمشق فاستقبله معاوية بن أبي سفيان وأكرم وفادته ووافق على منحه لقب حاكم رسمي للبلاد[٢].

ونظم معاوية حركة الجهاد ضد بيزنطة على نظام الصوائف والشواتي،وكان على معاوية بن أبي سفيان أن يواجه قوماً أولي بأس شديد ليس للسياسة معهم سبيل ولا يعرفون للترغيب ولا للترهيب طريقاً، ففي عام ٤٧هـ / ٦٦٧م تقدمت جيوش الخزر الجرارة نحوه مدن القوقاز، واستولت ر على عدد من مدنه وقلاعه، فخرج إليهم عبد الله بن سوار العبدى على رأس الحامية العسكرية وألتقي بهم في جبال أردبيل ؛ فتغلب عليه الخزر وقتلوا عدداً كبيراً من أفراد الحامية العسكرية، وخر عبد الله صريعاً على أرض المعركة، واستولي الخزر على مناطق جبال القوقاز وعاثوا فيها فساداً[٣].

ولم تذكر المصادر ما انتهت إليه هذه الحملة الخزرية، ولكن ومن المرجح أن يكون الخزر قد عادوا أدراجهم بعدما استولوا على الغنائم والأسلاب الكثيرة، ويؤيد ذلك أن المصادر لم تشر إلي تعرضهم للقوقاز أو أي مدينة أخرى، أو تصدى جيوش الخلافة لهم مرة ثانية، كما أن الخزر يتبعون سياسة الكر والفر والهجمات السريعة الخاطفة ثم العودة السريعة بما يقدرون على حمله من غنائم وأسلاب.

---

(١) كان جريجور ماميكوميان رهينة في بلاد دمشق لضمان تنفيذ الأرمن لعقود الصلح، وحينما اختاره بطارقة الأرمن من رئيساً لهم بعد وفاة تيودور الرشتوني، فأرسلوا نرسيس الثالث إلي معاوية في ذلك فوافق معاوية وكان حكمه ٤١ – ٦٦هـ / ٦٦٢ – ٦٨٥م ؛ صابر محمد دياب: أرمينية صـ٤١، فايز إسكندر: الفتح الإسلامي صـ٦٥، ٦٦.

(٢) الطبري تاريخ الأمم والملوك، ١٧٢/٥ مروان المدور،الأرمن عبر التاريخ،ص ١٩٩ ؛ صابر محمد دياب : أرمينية، ص ٤١.

(٣) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص ٢٠٨.

وكانت هذه الهجمة بمثابة الحجر الذي حرك الماء الساكن في العلاقة بين الدولة الإسلامية والخزر، فالخزر قد أخذتهم الجرأة في التعرض لحدود الدولة الإسلامية، مستغلين في ذلك فترة الاضطرابات التي شهدتها الدولة الإسلامية وحالة الوهن التي خلفتها المحنة الكبرى، ولا سيما وأن الدولة الإسلامية منذ أمد بعيد لم يتحرك لها جيش صوبهم، وزاد الوضع تعقيداً أن آخر جولة في الصراع مع الخزر كانت في صالحهم تلك التي كانت في موقعة البلنجر حيث هزم جيش المسلمين سنة ٣٢هـ / ٦٥٢م ؛ وذلك ما أعطى الخزر الجرأة على القيام بهذه الهجمة.

وتعرضت الدولة الإسلامية لهزة عنيفة أخرى باندلاع الصراع على السلطة بين يزيد بن معاوية بن أبي سفيان (٦٠ -٦٤ هـ / ٦٨٠ - ٦٨٣م) وبين الحسين بن على بن أبي طالب المطالب بالخلافة.

عهد عبد الملك بن مروان:

وامتدت هذه الاضطرابات بين مروان بن الحكم (٦٤ - ٦٥ هـ / ٦٨٣ - ٦٨٥م) ومن بعده ابنه عبد الملك بن مروان (٦٥ - ٨٦هـ / ٦٨٥ - ٧٠٥م) وبين المنافس لهما عبد الله بن الزبير واستمرت هذه الاضطرابات ما يزيد على عشر سنين خرجت منها الدولة مقطعة الأوصال(١).

لا شك أن هذه الأحداث أحدثت فراغاً سياسياً وعسكرياً في القوقاز جعل منها فريسة سهلة لمن ينقض عليها، حيث لم يكن هناك ما يمنع ذلك بعد انخراط حاميتها في الاضطرابات، فكانت أيدي المختار بن عبيد الثقفي(٢) أسرع في

(١) عن تفاصيل هذه الأحداث انظر : ابن كثير، البداية والنهاية، ٨/ ١٤٢ - ١٦٣، ٢٢٥ - ٢٧٥.

(٢) كان للمختار بن عبيد الثقفي مواقف متناقضة في بغض على بن أبي طالب وموالاة أولاده والتشيع لهم، وأدعي النبوة ونزول الوحي عليه، وللمزيد انظر : الدينوري: أبو محمد عبد الرحمن بن مسلم بن قتيبة الدينوري ت ٢٧٠هـ/ ٨٨٣م، المعارف، الطبعة الأولى ـ القاهرة ـ المطبعة الإسلامية ١٩٣٤م، صـ٤٠٠ - ٤٠١، حسن إبراهيم: مرجع سبق ذكره صـ.

الوصول إليها، حيث سيطر على أجزاء واسعة من أرمينية وضم إليه أذربيجان سنة ٦٧ هـ / ٦٨٦م، واستناب عليهما إبراهيم بن الأشتر[١] الذي دخل لاحقاً في طاعة عبد الله بن الزبير بعد مقتل المختار بن عبيد على يد مصعب بن الزبير في سنة ٦٧هـ / ٦٨٦م، ومن ثم قام عبد الله بن الزبير بتعيين المهلب بن أبي صفرة نائباً عنه في القوقاز سنة ٦٨هـ / ٦٨٧م، وظل المهلب بن أبي صفرة يصارع الأزارقة[٢] ويقاتلهم حتى أنهتكه الحرب معهم، وظلت الحرب سجالاً بينهما إلي أن اضطرته الظروف إلي التوجه إلي العراق لمواجهة عبد الملك بن مروان[٣].

وبالرغم من أن الظروف السياسية والعسكرية قد اضطرت الخوارج الأزراقة إلي التحول من القوقاز إلي فارس وأصبهان، إلا أنهم عادوا إليها مرة ثانية ولكن هذه المرة الخوارج الصفرية[٤] وكان ذلك سنة ٧٦هـ / ٦٩٥م، حيث نجح شبيب بن يزيد[٥] في دخولها، وتمكن من رد جيوش الخلافة التي حاولت إخراجه حيث رد جيشاً للحجاج بن يوسف الثقفي، ونجح في دحر جيش لوالي القوقاز – في عهد عبد الملك بن مروان – محمد بن مروان[٦] وبدأت دائرة التأييد للخوارج تتسع شيئاً فشيئاً في مناطق الموصل والجزيرة والقوقاز، وبدأ الكثير من أهل القوقاز يسعون حثيثاً لمساعدة هذه الحركات، وظلت أذربيجان خارج نطاق سيطرة

(١) إبراهيم بن الأشتر : أحد قادة الخوارج المشهورين بالشجاعة والإقدام، وهو قاتل عبيد الله بن زياد، وأبوه ممن شارك في قتل الخليفة عثمان بن عفان. وللمزيد انظر : ابن كثير، البداية والنهاية، ٨/ ٣٠٨.

(٢) الأزارقة : أحد فرق الخوارج التي تنسب إلي نافع بن الأزرق في البصرة والأهواز، عن أفكارهم وأعمالهم انظر : الرازي، كتاب الزينة من الكلمات العربية والإسلامية، تحقيق عبد الله سلوم، (د.ب.ن)، ج٣/ ٢٨٤.

(٣) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٢/ ٢٥٩ ؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٣/ ٥٠٢.

(٤) الصفرية : أحد فرق الخوارج، وسموا بذلك نسبة إلي رئيسهم ابن الأصفر أول رئيس لهم أو لاصفرار وجوههم من كثرة العبادة عن تفاصيل ذلك انظر : الرازي، المصدر السابق، ص ٢٨٣.

(٥) شبيب بن يزيد : اشتهر بالشجاعة، فعلى الرغم من قلة عدد أتباعه إلا أنه أتعب الأمويين في قتاله، عن ذلك انظر : ابن قتيبة، المعارف، ص ٤١ – ٤١١.

(٦) الطبري، تاريخ، ٣/ ٥٥٩ – ٥٦٠ ؛ ابن الأثير، الكامل، ٤/ ٤٠٥ – ٤٠٦.

الدولة الأموية إلي وفاة شبيب بن يزيد غرقاً في النهر سنة ٧٧هـ / ٦٩٦م واحتضار حركته ونهايتها(١).

وبالرغم من اجتثاث الخوارج من أرض القوقاز إلا أنها أصبحت نهباً وطمعاً للقوى الخارجية فبعد أن خلع الأرمن طاعة الدولة الأموية وظنوا في أنفسهم القوة والبأس بدءًا في الاستعداد للسيطرة على بلاد القوقاز مما جعل محمد بن مروان والي القوقاز يدخل معهم في أكثر من معركة في الفترة ما بين ٨٢هـ / ٧٠١م وعام ٨٤هـ / ٧٠٣م، وبدأ الأرمن في الوصول إلي القوقاز والاستيلاء عليها مستغلين انشغال محمد بن مروان ووجوده في دمشق، فتصدت لهم حامية الإقليم العسكرية، التي لم تكن مستعدة لمواجهة الأرمن فحاقت بهم الهزيمة وقتل عدد كبير من أفرادها ما بين قتيل على أرض المعركة أو غريق في نهر الرس(٢).

ولم تدم نشوة الانتصار الذي حققه الأرمن على حامية القوقاز، وبينما شقت جموع الأرمن طريقها نحو أردبيل، كان محمد بن مروان قد أسرع بتجهيز جيش من منطقة الجزيرة الفراتية وتحرك به نحو أردبيل حيث ألتقي بجموع الأرمن بقيادة زعيمهم سمباط البجراطي ودارت بين الفريقين معركة حامية الوطيس انجلت عن هزيمة مروعة للأرمن، وفرار زعيمهم سمباط إلي بيزنطة(٣).

وعلى ما يبدو أن الأرمن قد أخطأوا الحسابات حينما ظنوا أن أحداث الخوارج سوف تشغل الدولة الأموية عن القوقاز، وما كان للأرمن أن يحققوا هذا الانتصار المفاجئ على حامية المدينة لولا مساعدة بيزنطة التي قدمت لهم المعونة العسكرية التي مكنتهم من ذلك بدليل أن سمباط البجراطي زعيم الأرمن قدم جياداً عربية مما غنمه من الحامية العسكرية هدية للبيزنطيين(٤) كنوع من رد الجميل واعترافاً بفضلهم ودورهم في تحقيق هذا الانتصار.

---

(١) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٢/ ٢٧٢ ؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٣/ ٥٥٩ – ٥٦٠.
(٢) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠ ؛ ؛ فايز نجيب إسكندر، الفتح الإسلامي لبلاد الكرج، ص ٧٣ – ٧٤.
(٣) خليفة بن خياط، تاريخ، ص ٢٩١ ؛ الحنبلي: ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ١/ ٤٣.
(٤) خليفة بن خياط، تاريخ، ص ٢٩١ ؛ صابر محمد دياب، أرمينية ، ص ٤٦ – ٤٧.

وكان عبد الملك بن مروان قد اضطر– حتى لا يقاتل في جبهتين مع لأرمن والخوارج –إلي عقد اتفاق مع بيزنطة[١] نص على الآتي:

١ – يتنازل عبد الملك عن نصف خراج أرمينية.

٢ – أن يدفع عبد الملك ألف دينار كل جمعة لبيزنطة[٢].

وبعد استتب الأمر لعبد الملك بن مروان قام بخلع أسرة الماميكونيان من الحكم في أرمينية بعد فشلها في استتباب الأمن في الإقليم، وعين بدلاً منها الأسرة المنافسة لها وهي أسرة البجارطة[٣].

غير أن استقرار أرمينية تحت السيطرة الإسلامية وتعيين أشواط البجراطي جاء على غير هوي الإمبراطور جستنيان الثاني فأرسل إلي الأرمن يدعوهم إلي العودة لحكم بيزنطة إلا أنهم رفضوا[٤]، فاعتبرهم جستنيان[٥] خائنين لبيزنطة في تبعيتهم للعرب فأرسل إليهم حملة عسكرية بقيادة القائد ليونتوس[٦] على جيش قوامه أربعون ألفاً فعاث في أرمينية فساداً وحمل معه في طريق عودته ثمانية آلاف أسرة بيعت كعبيد في بيزنطة[٧].

وفي عام ٧٥هـ / ٦٩٤م وكرد فعل على هجوم البيزنطيين على الإقليم، جهز عبد الملك بن مروان جيشاً كبيراً وعقد ولاية الجيش والإقليم لمحمد بن مروان، وأرسل معه ابنه مسلمة بن عبد الملك، فسار محمد والجيش حتى نزل

(١) الطبري، تاريخ ٣/ ٣٩ ؛ ابن الأثير : الكامل ٤/ ٧٦.
(٢) الطبري :، تاريخ، ٣ ١٥٠ ؛ الذهبي : دول الإسلام،١/ ٥٣.
(٣) صابر محمد دياب، أرمينية، ص ٤٣.
(٤) صابر دياب، أرمينية من الفتح، ص ٤٤.
(٥) جستنيان الثاني :– كانت فترة حكمه تتميز بالتدهور السياسي في الإمبراطورية البيزنطية فقد فقدت على وجه التقريب كل ما أقامه فسطنطين الرابع حيث كان يفتقر إلي الحرص وبعد النظر وكان ذا طبيعة مندفعة استبداية – وسام عبد العزيز : العلاقات – ص ٤١.
(٦) ليونتوس : وهو من أمهر قادة جستنيان الثاني وكان يقود الثيم الاناضولي ونجح في إخضاع إخضاع كل من ألبانيا وإيبيريا وإعادهما إلي السيطرة البيزنطية :– وسام عبد العزيز، العلاقات،ص ٤٦.
(٧) صابر محمد دياب،أرمينية،ص ٤٤.

الجزيرة وضم إليه عشرة آلاف جندي أخر[١]، وكان الجيش البيزنطي قد استعد لملاقاة الجيش العربي بجيش قوامه مائة ألف مقاتل تعضده فرق من الجيش الخزري وما انضم إليه من الأرمن، ولم يقدر محمد بن مروان حجم هذا الجيش فاستقر في الجزيرة وأرسل جيشًا صغيرًا فهزم[٢] وقتل جميع من كان في الجيش فلما علم محمد بن مروان بذلك جمع جيشاً كبيراً وسار به بنفسه في أربعين ألف جندي، وخرج قاصداً جموع البيزنطيين والخزر والأرمن وبعد معركة حامية الوطيس انتصر فيها محمد بن مروان وأرسل البشارة والغنائم إلي عبد الملك بن مروان[٣].

إزاء هذه الثورات والفتن التي كان يعج بها الإقليم، فقد نهج محمد بن مروان سياسة مغايرة لما كان سابقاً، حيث اتبع سياسة الصرامة[٤].

فأرسل محمد بن مروان ابن أخيه مسلمة بن عبد الملك[٥] نائباً عنه في الإقليم وضم إليه جيشاً كبيراً، وأمره بالمسير إلي شمال القوقاز عند مدينة الباب

---

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام،٣/١٢٠ ؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٠٧.
(٢) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٩٤ ، خليفة بن خياط، تاريخ، ص ٢٧٥.
(٣) ابن الأثير، الكامل،٤/ ١٢٩ ؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٠٧ – ٢٠٨، د/ عبدالشافي عبد اللطيف، صـ١٥٣، ١٥٤.
(٤) ذكر المستشرقون من مؤرخي الأرمن أن محمد بن مروان قام بإحراق زعماء ورؤساء الأرمن في الكنائس بقولهم :– " اغراهم بشتي الطرق بدخول الكنائس ثم أحرقها بمن فيها " وللأسف إنساق بعض المؤرخين المحدثين معهم في هذا الأمر، ويري الباحث أن هذه القصة مختلفة لعدة أسباب منها أنه يتنافي مع روح وسماحة الإسلام ومع شخصية محمد بن مروان الذي وصفه كتاب التراجم والسير بالورع والتقوى؛ كما كان بمقدور محمد بن مروان أن يقتلهم دون أن يلجأ إلي المكر والخداع – وهو شيمة الضعفاء – وهو الذي اتسم حكمه للإقليم بالسيطرة التامة على مقاليد الأمور، أضف إلي ذلك كون الأرمن يتصفون بالنزعة الاستقلالية والميل إلي الثورة وهذا ما لم يكن يسمح به فأرادوا بذلك الإساءة إلي الإسلام بصفة عامة ومحمد بن مروان بصفة خاصة، وقول الأرمن فيه مبالغة بقولهم :– " لدخول الكنائس " ليست كنيسة بل كنائس فما كان عدد من أحرقهم إذن !؟ وهذا فيه مبالغة كبيرة.
انظر: البلاذري، أنساب الأشراف،٥/١٨٥ ؛ ابن سعد : الطبقات الكبري،٢/٩٤، فايز إسكندر: الفتوحات صـ٧٥، ٧٦، فؤاد حافظ: تاريخ الشعب الأرمني صـ.
(٥) مسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي، وكان يلقب بالجرادة الصفراء لصفرة كانت تعلوه، وفتح فتوحاً كثيرة في بلاد الروم بين بلاد وحصون وقلاع ومدن، وأبلي بلاء حسناً في قتال الخزر، كما كان له دور كبير في حصار القسطنطينة في عهد سليمان بن عبد

(الدربند)، حيث كان الخزر قد دخلوها وتحصنوا بها، غير أن مسلمة – بالرغم من حصارها – لم يستطع دخولها نظراً لحصانة المدينة وصعوبة ارتقاء سورها[١] ولم يستطع دخولها إلا بعدما دله على طريقة لدخول سورها أحد سكان المدينة، ولما دخلها المسلمون دار قتال عنيف مع الخزر، وانتصر المسلمون، وبعث مسلمة بالغنائم إلي محمد بن مروان حاكم الإقليم[٢].

ومن مقره في الجزيرة أرسل محمد بن مروان إلي الإقليم عبد الله بن حاتم الباهلي نائباً عنه في حكم الإقليم، الذي واصل نهج محمد بن مروان في الصرامة في التعامل مع الإقليم[٣] غير أن سمباط البجراطي فر إلي بيزنطة[٤] والتقي بالإمبراطور جستنيان الثاني واستطاع أن يحصل منه على مساعدة عسكرية كبيرة، وأخذ على عاتقه الانتقام من المسلمين واستمال إلي جواره أمراء الإقطاع في البلاد، فلما علم عبد الملك بهذا جمع جيشاً كبيراً جعل على مقدمته محمد بن مروان وابنه مسلمة بن عبد الملك، وكان الخزر قد شاركوا جموع الأرمن وحلفاءهم البيزنطيين، واستطاع الجيش المسلم في ٨٦هـ / ٧٠٥م وبعد معركة حامية الوطيس انتصر الجيش الإسلامي، وأوقع الهزيمة النكراء بجموع الخزر والبيزنطيين المتحالفين مع الأرمن[٥].

وبالرغم من هذه الضربات المتلاحقة التي وجهها محمد بن مروان للإقليم، وبالرغم من إتباعه سياسة الصرامة معهم[٦] إلا أنهم عادوا للثورة مرة ثانية بقيادة سمباط البجراطي واعترضوا جيشاً للمسلمين بالقرب من الرس وأوقعوا به

الملك. عنه انظر ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء،٢/ ٢٤١ ؛ الزبيري : نسب قريش – ص ١٦٥.

(١) ابن نباتة المصري :– سرح العيون – ص ٢٦ ؛ ابن الدم الحموي : التاريخ الإسلامي،١/ ٢٥٧ ؛ الكوفي: الفتوح –،٦ ٦٩٧.

(٢) الذهبي، دول الإسلام،١/ ٦٠ ؛ ابن الأثير، الكامل،٤/ ٢٤١.

(٣) خليفة بن خياط،تاريخ، ص ٢٩٠ ؛ صابر دياب، أمينية، ص ٤٥.

(٤) صابر دياب : المرجع السابق، ص ٤٥ – ٤٦.

(٥) ابن كثير، البداية والنهاية، ١٠٩/٩ ؛ الكوفي، الفتوح، ١٦٩/٧ – ١٧٠ .

(٦) الواقدي : فتوح الشام، ٢٠٥/٢، خليفة بن خياط، تاريخ، ص٢٩٠.

الهزيمة[١]، وفي أذربيجان هزم جيش الخزر جيشاً صغيراً بقيادة عثمان بن الوليد بن أبي معيط، وكان يساند الخزر فرسان من الأرمن[٢]، فأثار هذا حفيظة عبد الملك بن مروان فجهز جيشاً بقيادة محمد بن مروان وأمره بالمسير إلي الإقليم لإعادة السيطرة عليه وقمع ثورته، وما أن علم سمباط البجراطي بقدوم جيش المسلمين حتى هرب من الإقليم، وخوفاً من انتقام المسلمين فقد أرسل سكان الإقليم البطريرك اسحق الثالث الذي كان في دمشق فخرج يريد ملاقاة محمد بن مروان حتى لا ينتقم من الإقليم، وكان معه رسالة ولكنه لقي حتفه وهو في الطريق، فأخذه من كان معه الرسالة وأعطاها لمحمد بن مروان وكان يتوسل فيها ألا ينتقم من الإقليم فلم قرأها محمد بن مروان[٣] تعهد أن يستجيب لطلبه ودخل الإقليم ولم يجد مقاومة، ودخل دبيل دون أن ينتقم منها ولا من سكانها، وفي نفس العام ٨٥هـ / ٧٠٥م قام بتجديد مدينة أردبيل ومدينة برذعة[٤].

عهد الوليد بن عبد الملك (٨٦ – ٩٦ هـ / ٧٠٥ – ٧١٥م):-

وفي عهد الوليد بن عبد الملك (٨٦ – ٩٦هـ / ٧٠٥ – ٧١٥م) انصرف الاهتمام قليلاً عن القوقاز حيث جعل الوليد هدف عملياته العسكرية الاستيلاء على المعاقل الهامة على الطريق الرئيسي المؤدي إلي القسطنطينية واستهدفت الحملات التي أرسلها الوليد كل عام ابتداءاً من ٨٦هـ / ٧٠٥م حتى العام ٩٦هـ / ٧١٥م منطقة الثغور[٥] وآسيا الصغرى[١].

(١) الطبري، تاريخ، ٣٨٥/٦ ؛ الدينوري : عيون الأخبار – القاهرة – دار الكتب – ١/ ١٠٩ .
(٢) ابن كثير : البداية والنهاية – جـ٩ – ص ١٠٧ ؛ صابر دياب : المرجع السابق – ص ٤٢.
(٣) حينما قرأ محمد بن مروان الرسالة قال : " عندما قرأت ما كتبت عرفت حكمتك ولقد بادرت وأنت الراعي الصالح إلي مواجهتي ساعياً لخير رعيتك وإني أوفقك على ألا يضمخ سلاحي بدم الأبرياء وأتعهد بتحقيق كل ما طلبت مني " ؛ الكوفي،الفتوح،٧/ ١٧٠.
(٤) ابن كثير : البداية والنهاية، ٥٦/٩.
(٥) عن مناطق الثغور والحدود الإسلامية البيزنطية انظر : إبن الشحنة، الدر المنتخب في تاريخ تاريخ مملكة حلب، ط بيروت، ١٩٠٩ ؛ ص ١٩١ ؛ فتحي عثمان، الحدود الإسلامية البيزنطية، ط القاهرة، (د.ت)، ١/ ٣٣٣.

وبالرغم من نجاح هذه الحملات في الوصول إلي البسفور والاستيلاء على بعض المعاقل الهامة بالقرب منه، ولكن لم يكن هذا إلا لغرض الاستطلاع العسكري وتأمين الوجود الإسلامي في آسيا الوسطى والقوقاز(٢).

وبالرغم من نجاح هذه الحملات إلا أنها شغلت الدولة الأموية عن تأمين القوقاز، جاء ذلك في الوقت الذي كانت تتم فيه هذه الأحداث على مرأى ومسمع من الخزر الذين استغلوا هذا الانشغال وحالة الفراغ العسكري الموجود في منطقة القوقاز وبدأوا يطرقون أبواب الإقليم بقوة ففي عام ٨٩هـ / ٧٠٧م تقدم الخزر نحو أردبيل وهاجموا عدداً من المدن في الطريق إليها وعاثوا فساداً في الأرض وحاصروا مدينة باب الأبواب وضيقوا الخناق عليها، ولم تستطع حامية القوقاز التي تركها مسلمة بن عبد الملك – والي القوقاز في عهد الوليد – صد هذه الجموع، فاقتضت هذه الأحداث عودة مسلمة من جبهة بيزنطة، ولكن لم يجد للخزر أثر إذ أنهم سرعان ما عادوا إلي بلادهم محملين بما قدروا على حمله من الغنائم والأسرى(٣).

ويظهر لنا مدي انشغال القيادة السياسية في الدولة الأموية بالحرب مع بيزنطة على ما سواه إذ سرعان ما ترك مسلمة القوقاز متوجهاً إلي مناطق الثغور لقيادة الحملة على الحدود البيزنطية.

---

(١) عن تفاصيل وأحداث هذه الحملات انظر : خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص ٣٠١ – ٣٠٢؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٢/ ٢٨٣ .

(٢) لعبت أرمينية دوراً مهماً بالنسبة للدولة الإسلامية في صراعها مع بيزنطة بحكم موقعها الحاجز بينهما وهذا الموقع الجغرافي جعلها مقسمة الولاء ومنهارة سياسياً، فتوالي الفريق الأقوى والمنتصر وتقدم له يد العون، وهذا الموقف السياسي كان مع الدولة الفارسية قبل ظهور الإسلام. عن تفاصيل طبيعة وأهمية موقع وموقف أرمينية أنظر : وسام عبد العزيز فرج، العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية حتى منتصف القرن الثامن الميلادي، ط الإسكندرية، (د.ت)، ص ٢٠٠ – ٢٠١.

(٣) الطبري، تاريخ، ٣/٦٨٠ ؛ ابن خلدون: عبد الرحمن بن خلدون ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ضبط حواشيه ووضع الفهارس: خليل شحاته، بيروت ــ دار الفكر ١٩٨٨م، ج٣/ ٨٩.

وما كاد مسلمة يصل إلي منطقة الحدود الإسلامية البيزنطية، حتى بدأ الخزر يستغلون حالة الفراغ التي خلفها مسلمة في القوقاز، حيث جمعوا جموعهم الجرارة وقصدوا القوقاز واستولوا في الطريق إليها على مدينة باب الأبواب وعاثوا فيها فساداً وقتلوا عدداً كبيراً من سكانها ثم كانت أردبيل هي التالية ولم تستطع الحاميات العسكرية من فعل شيء إذ أن مسلمة كان قد استصحب في رحلة العودة إلي الثغور خيرة الفرسان والمقاتلين، ووجد الخزر الفرصة السانحة للاستيلاء على عدد كبير من مدن القوقاز، وبالرغم من تعجل مسلمة في نجدة سكان القوقاز إلا أن البون كان شاسعاً والمسافة كانت بعيدة، فلما وصل القوقاز وجد الخزر قد عادوا من حيث أتوا، فتوغل في أراضيهم ومناطقهم الحدودية وأقام بها مواقع عسكرية وأسكنها الحاميات والجند لتكون مواقع عسكرية متقدمة وللقيام بمهام الاستطلاع العسكري لأنشطة الخزر الحربية وإجهاض محاولاتهم مبكراً، ثم شرع في إعادة بناء مدن القوقاز بعد أن دمرها الخزر وأقام بها التحصينات والاستحكامات الحربية وأسكنها عدداً كبيراً من المسلمين(١).

وكان النجاح الذي حققته الحملات في مناطق الثغور في عهد الوليد باعثاً على التفكير الجدي والمباشر في محاولة الوصول إلي القسطنطينية بيت القصيد، وهو المشروع الذي أعيد إحياؤه في عهد سليمان بن عبد الملك (٩٦ – ٩٩هـ / ٧١٥ – ٧١٧م) ومن العوامل التي ساعدت على التفكير في هذا المشروع أن سليمان أراد أن يستغل فترة الاضطرابات والفوضى التي كانت تعيشها بيزنطة في الداخل والخارج وتعيش فترة من أحلك فترات تاريخها بعد وفاة الإمبراطور واختلاف أولاده على العرش، فجعل سليمان من هذا المشروع موضوع الساعة وغلب على ما سواه(٢).

وقد استنفذ هذا المشروع كل طاقات واهتمامات الدولة الأموية، فلم يجد الخزر صعوبة في مهاجمة القوقاز وأن يعيثوا فيه فساداً سنة ٩٩هـ / ٧١٧م، ولم يقفوا عند مدينة بعينها بل هاجموا عدداً كبيراً من مدن القوقاز وأهلكوا

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٤/ ٣ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٣/ ٣٢٣.
(٢) وسام عبد العزيز، العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية، ص ١١٧.

الحرث والنسل، ثم كانت عودتهم إلي بلادهم بعد أن حملوا في طريق عودتهم الغنائم والأسلاب(١).

عهد عمر بن عبد العزيز (٩٩ – ١٠١ هـ / ٧١٧ – ٧٢٠م):-

انصرفت جهود سليمان بن عبد الملك إلي حصار القسطنطينية، كما أن المصادر سواء العربية أو الأجنبية لم تزودنا بأحداث خلال هذه الفترة اللهم إلا ذكرها بأن الخزر قد هاجمت شمال الإقليم عام ٩٩ هـ / ٧١٧م وتوغلوا حتى وصلوا أذربيجان وعاثوا فيها فساداً فاستطاع عبد العزيز الباهلي نائب مسلمة – الذي كان في حصار القسطنطينية – من إيقاع الهزيمة بهم وطردهم(٢).

وفي عام ١٠٠ هـ / ٧١٨م أصدر عمر بن عبد العزيز عفواً عاماً عن أسري الإقليم، وسمح لهم بالعودة مرة ثانية، وأرسل إلي عبد العزيز بن حاتم يأمره بعدم استخدام أهل الذمة(٣) في كتابة الدواوين(٤).

وفي عهد عمر بن عبد العزيز (٩٩ – ١٠١هـ / ٧١٧ – ٧٢٠م) شهدت الجبهة مع الخزر فترة من السكون الحربي والسياسي، حيث كان لعمر فلسفته الخاصة، وكانت له أغراضه الطيبة، وفي الحقيقة لم تكن أعماله في هذا الصدد بعيدة عن الحكمة، وحين أعقبه يزيد بن عبد الملك (١٠١ – ١٠٥هـ / ٧٢٠ –

(١) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص ٣١٩، اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٢/ ٣٠٢.
(٢) الدينوري، الإمامة والسياسة – ١/ ٧١ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٣/٣٣٣.
(٣) هذا نص رسالة عمر بن عبد العزيز إلي عبد العزيز بن حاتم الباهلي يقول فيها : " أما بعد فإن الله عز وجل قد أعز الإسلام وأهله وشرفهم وأكرمهم وضرب الذلة والصغار على عدوهم وجعلهم خير أمة أخرجت للناس، فلا تولين أمور المسلمين أحداً من أهل الذمة فتتبط أيديهم وألسنتهم وتزل أهل الإسلام بعد أن أعزهم الله وتهنهم بعد أن أكرمهم الله تعالي وتعرضهم لكيدهم والاستطالة عليهم فلا يؤمن غشهم فإن الله عز وجل يقول : " يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً وودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر " آل عمران ١١٨ – أ. س. ترتون : أهل الذمة في الإسلام،= = ترجمة: حسن حبشي– القاهرة ــ مطبعة الاتحاد، صـ٢٣، حسن أحمد محمود: الإسلام في آسيا الوسطى صـ١٥٠، ١٥١.
(٤) الطبري، تاريخ، ٦/٥٥٣ – ٥٥٤ ؛ خليفة بن خياط، تاريخ، ص ٣١٩، د/ عبد الشافي عبد اللطيف: الفتح الإسلامي لبلاد ما وراء النهر صـ٢٥.

٧٢٤م) غيَّر السياسة الخارجية بعض الشيء وبعث حرارة الجهاد من جديد ولكن دون نتائج إيجابية تتناسب مع حجم الجهاد والجهود المبذولة لتحقيقه، فقد اصطدم يزيد بواقع حربي وتكتيكات عسكرية جديدة، فقد دفع التهديد الإسلامي منذ القرن الثامن الميلادي / الثاني الهجري بكل من الخزر وبيزنطة إلي التحالف في وجه الدولة الأموية[١]، وظل هذا التحالف ركناً أساسياً في علاقاتهما طوال القرنين التاليين، إذ ظل الخزر الحليف الدائم لبيزنطة في الشمال الشرقي، وتلقت بيزنطة معونة طيبة من خلال صداقتها التقليدية مع الخزر الذين أحسوا بأنفسهم متحدين مع البيزنطيين في عداء مشترك للدولة الإسلامية، حيث استغلت بيزنطة العداء المستحكم بين الدولة الأموية والخزر أحسن استغلال وسخرت الحرب والسياسة لتحقيق أهدافها، فتم تقوية التحالف بين الخزر وبيزنطة بالمصاهرة، حيث تزوج ابن الإمبراطور البيزنطي ليو الثالث الأيسوري وخليفته قسطنطين الخامس من ابنه خاقان الخزر سنة ١١٥هـ / ٧٣٣[٢].

وبذلك أصبحت جبهة الخزر وشمال القوقاز ميداناً يمتص طاقة الأمويين، وأصبح الخزر قوة تجذب كل انطلاقة للدولة الأموية ويتضح ذلك جلياً من خلال العلاقة مع الخزر خلال فترة حكم كل من يزيد بن عبد الملك وخلفه هشام بن عبد الملك.

---

(١) تمركزت دولة الخزر في إقليم يقع بين الحوض الأدنى لنهر الفولجا شمال جبال القوقاز وبحر أزوف، ومنذ القرون الوسطى المبكرة بدأت هذه الدولة تهدد بيزنطة منذ القرن السادس الميلادي، وحدث بينهما أكثر من صدام مسلح، ومع مطلع القرن السابع الميلادي أدت الظروف التي أحاطت بهما إلي حدوث تقارب وتفاهم بينهما، ولقد أدرك البيزنطيون الأهمية والقيمة الكبرى لشمال القوقاز، ففي أثناء الصراع الفارسي البيزنطي تحالفت بيزنطة مع الخزر في وجه الفرس، وبعد ذلك حدث بعض التوتر في العلاقات بين كلا الفريقين لا سيما في عهد جستنيان الثاني، ولكن مع تصاعد وتنامي الوجود الإسلامي على حساب الدولتين فقد فرضت عليهما الظروف السياسية والعسكرية التحالف في وجه المد الإسلامي، واتخذ هذا التحالف عدداً من الصور ما بين السياسية والعسكرية والاجتماعية. وللمزيد انظر : وسام عبد العزيز، العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية، ص ٢٠٤ – ٢٠٥، حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج١ صـ٣٩٤، أرثر كيستلر: القبيلة الثالثة عشرة، صـ١٣ ــ ٢٠.

(٢) وللمزيد انظر : العريني، الدولة البيزنطية، ص ١٦٧ ؛ وسام عبد العزيز، المرجع السابق، ص ٢٠٤ – ٢٠٥ ؛ أرثر كيستلر، القبيلة الثالثة عشرة، ص ١٣، ٢٢.

عهد يزيد بن عبد الملك (١٠١ ـ ١٠٥هـ / ٧٢٠ ـ ٧٢٤م)

موقعة مرج الحجارة ١٠٣هـ / ٧٢٠م:-

وقع أول صدام مسلح بين الدولة الأموية والخزر في عهد يزيد بن عبد الملك في نهاية العام ١٠٣هـ / ٧٢٠م، حيث تلقي الخزر المعونة العسكرية من بيزنطة وسكان شمال القوقاز وقوي ساعدهم وشرعوا في مهاجمة حدود الدولة الأموية وقصدوا أذربيجان، فعين يزيد بن عبد الملك القائد ثبيت النهراني لقتالهم، فتقدم ثبيت بجيشه وألتقي بالخزر في موقعة مرج الحجارة شمال غرب أردبيل، وبعد قتال عنيف بين الجيشان، انتصر الخزر وقتلوا عدداً كبيراً من جنود المسلمين وفرت فئة قليلة نحو دمشق(١).

وبعد هذه الهزيمة التي حاقت بجيش الخلافة الأموية لم يعد هناك شيء يحول بين جنوب القوقاز واستيلاء الخزر عليه، فعاثوا فيه فساداً وقتلوا أعداداً كبيرة من سكانه، وظل يرزح تحت نيرهم إلي أن قام يزيد بتعيين الجراح بن عبد الله الحكمى(٢) وأمده بجيش من خيرة عناصر الجند في الدولة الأموية وطلب منه إزاحة الخزر عن شمال وجنوب القوقاز(٣).

فتقدم الجراح بجيشه وأخذ يقوي جبهته الداخلية بإعادة السيطرة على المناطق المجاورة لأذربيجان وتطهير المدن والحصون التي إحتلها الخزر وفرض الطاعة على ملوك جبال القوقاز ثم شرع في مهاجمة فلول الخزر الذين بدأوا ينسحبون من أذربيجان ومن وجه القوات الإسلامية، وأخذ الجراح يتعقب فلول الخزر الهاربة، إلي أن أزاحهم عن حدود الدولة الأموية، وحتى تلك اللحظة لم يكن قد

(١) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص ٣٢٧ ؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٢/ ٣١٤ .
(٢) الجراح بن عبد الله الحكمى : أشهر قادة الحرب في عصر الدولة الأموية، كان يلقب بأبي عقبة، وصف بالشجاعة والبطولة، ولي لعمر بن عبد العزيز خراسان، انظر: راضي عبد الله، دراسات في تاريخ خراسان في العصر الأموي (٤٠ – ١٣٢م)، ط القاهرة، ١٩٨٧م، ص ٥٠ – ٥١.
(٣) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٢/ ٣١٣، الطبري، تاريخ، ٤/ ١٠٥، الأزدي، تاريخ الموصل، ج٢/٢٢.

دخل معهم في معركة فاصلة، ولذا فقد تابع تقدمه وتوغل في حدود الخزر إلي أن وصل إلي أحد معاقلهم الرئيسية مدينة البلنجر فضرب عليها الحصار، وطال أمد هذا الحصار إلي أن نجح أحد الجنود من اختراق هذه التحصينات، وتدفق المسلمون إلي داخل المدينة واستولوا على ما كان بها بعد قتال عنيف مع الخزر(١).

وشرع الجراح يعد العدة لمزيد من التوغل والاستيلاء على المدن الخزرية، وبدأ التقدم ولكن جاءت وفاة يزيد بن عبد الملك لتعطل هذا المشروع، مما اضطر الجراح الحكمي إلي العودة إلي أذربيجان وانتظار ورود تعليمات أخرى(٢).

عهد هشام بن عبد الملك:

وبتولي هشام بن عبد الملك الحكم (١٠٥ – ١٢٥هـ / ٧٢٤ – ٧٤٣م) كان عليه التصدي لخطر الخزر ذلك العدو الرابض على حدود الدولة الأموية، ويعد هشام بحق من وجهة نظر المؤرخين ثالث بني أمية في السياسة وأخرهم بعد معاوية الذي أسس دولة بعد الفتنة الكبرى، وعبد الملك بن مروان الذي قاد الدولة الأموية في أخطر مراحلها من أجل الاستمرار، أما هشام فقد قاوم النهاية المحتومة طويلاً وحاول كثيراً، وجاهد في الداخل والخارج من أجل البقاء، فكان عهده أشبه بصحوة ما قبل الموت البطيء، الذي جاء على يد الخلفاء الأربعة الذين تلوه في الحكم، وبالرغم من أنه لم يكن جندياً إلا أنه أظهر سياسة وحكمة وشجاعة كبيرة في خوض غمار الحرب والتدبير لها، ما يثبت أنه رجل حرب وإدارة لا يستكين(٣).

ظهر أثر هذه الصفات التي تحلى بها هشام في اهتمامه بأمر القوقاز إذا استهل عهده بتسمية الجراح والياً على القوقاز وأمده بالرجال والعتاد والإمدادات

(١) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص ٣٣١ ؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك،٤/ ١٠٩ .

(٢) ابن خلدون، العبروديوان المبتدأ والخبر، ٣/ ١٠٥ ؛ دحلان، الفتوحات الإسلامية، ص ١٧١.

(٣) انظر : وسام عبد العزيز فرج، العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية، ص ١١٣ – ١١٤.

التي طلبها، فاستطاع الجراح من منازلة الخزر سنة ١٠٦هـ / ٧٢٤، وأوقع بهم الهزيمة وألزمهم التراجع خلف حدودهم(١).

وبعد هزيمته للخزر عرج الجراح بجيشه نحو مناطق القوقاز لمنازلة ملك قلعة اللان لتكرار تعاونه مع الخزر ضد الدولة الأموية ومشاركته في الهجوم على أذربيجان، وتمكن الجراح من دخول القلعة عنوة وعقد اتفاقاً مع حاكم القلعة يلتزم فيه الحاكم بدفع قدر معين من المال سنوياً مقابل تركه على حكم القلعة وعدم التعرض لها، ثم عاد أدراجه إلي أذربيجان(٢).

ويعود مسلمة بن عبد الملك مرة ثانية إلي القوقاز والياً عليه سنة ١٠٧هـ / ٧٢٥م، بعد أن عزل هشام الجراح عنها، غير أن مسلمة لم يبارح دمشق واستناب على القوقاز الحارث بن عمرو الطائي حيث قاد جيش الخلافة في الحملة على الخزر سنة ١٠٧ هـ / ٧٢٥م فأشتبك معهم في أكثر من موقع وتوغل في حدودهم ثم عاد بجيشه الظافر إلي أذربيجان(٣).

وعلى ما يبدو أن حملة الحارث بن عمرو على الخزر لم تكن ذات أثر، إذ أنه ما كاد يصل إلي أردبيل إلا وكان الخزر في عقبه سنة ١٠٨هـ / ٧٢٦م، فاستولوا على المدن التي في طريقهم، فبدءوا بمدينة ورثان وعاثوا فيها فساداً وقتلوا عدداً كبيراً من سكانها وهدموا سورها بالمجانيق، فتقدم الحارث بن عمرو بجيشه واستطاع أن يخرجهم من المدينة بعد مشقة وجهد جهيد(٤) ودخل مع الخزر في أكثر من موقعة ودارت الحرب سجالاً بينهماً دون تحقيق نتيجة حاسمة لأي من الفريقين، وفي أحد هذه المعارك خر الحارث بن عمرو صريعاً(٥).

(١) خليفة بن خياط، تاريخ ، ص ٣٣٦ ؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٢/ ٣٢٨.
(٢) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص ٣٣٦ ؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٢/ ٣٢٨.
(٣) ابن الأثير، الكامل، ٥/ ١٣٧ ؛ ابن طباطبا: محمد بن علي بن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية، القاهرة، مطبعة الموسعات ١٣١٧هـ ، صـ١١٩ .
(٤) خليفة بن خياط، تاريخ، ص ٣٣٨ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٣/ ٢٢٢.
(٥) الأزدي، تاريخ الموصل، ٢/ ٢٨، ابن الأثير، الكامل، ٥/ ١٤٥.

هذه الأحداث اضطرت مسلمة إلي العودة للقوقاز ومباشرة القيادة بنفسه سنة ١٠٩هـ/٧٢٧م ودخل مع الخزر في قتال محتدم، وظلت الحرب قائمة بين الطرفين حتى حل الشتاء مما اضطرهما إلي الانصراف لحين انتهاء الشتاء، فتوجه مسلمة بالجيش لقضاء الشتاء في قلعة اللان(١).

معركة الطين(٢) ١١٠ هـ / ٧٢٨م:

واستمرت حالة الكر والفر في الحرب بين الخزر والدولة الأموية، حيث جمع الخزر جيشاً كبيراً من مختلف أنحاء بلادهم، وبدأوا اجتياح مناطق القوقاز، واستولوا على عدد من الحصون والقلاع التي تتحكم في الطريق والممر الرئيسي نحو مدن أذربيجان، فاضطر مسلمة ابن عبد الملك إلي حث الناس على الانخراط في جيشه لمعادلة جيش الخزر، وبالرغم من نجاح مسلمة في صد هجمة الخزر هذه واستعادة الحصون والقلاع التي استولوا عليها، غير أنه سرعان ما عاد إلي مدينة باب الأبواب لقضاء الشتاء بها(٣).

وقبل أن ينقضي الشتاء عاد الخزر مرة ثانية من حيث أتوا قاصدين هذه المرة أردبيل رأسا ؛ مستغلين تواجد مسلمة بالجيش في مدينة باب الأبواب، فاضطر مسلمة إلي الخروج لملاقاتهم، وقد دارت المعركة في جو ماطر قارص البرودة، واستمرت لفترة طويلة سجالاً بين الفريقين إلي أن لاحت بشائر الانتصار للمسلمين، وحاول الخزر الفرار من ساحة المعركة أمام هجمات الفرسان العرب الصاعقة، واندفعوا نحو نهر الرس يريدون العبور، ولكن مياهه السريعة الجريان تخطفتهم جماعات جماعات، حتى لقد قيل أن عدد الذين غرقوا في النهر كان أضعاف الذين قتلوا بسيوف المسلمين، ولم يستغل مسلمة هذا الانتصار وحالة

(١) خليفة بن خياط، تاريخ، ص ٣٣٨ ؛ ابن الأثير، الكامل، ٥/ ١٤٠ – ١٤١.
(٢) معركة الطين : سميت بذلك لوقوعها في جو ماطر وأرض لبخة ومليئة بالطين، وعلق الكثير منه على أرجل الخيل، مما دفع المسلمون إلي قص أذناب الخيل حتى لا تعوقها في الحركة، انظر : خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص ٣٣٩ ؛ الكوفي، الفتوح، ٨/ ٢٨٩ – ٢٩٠.
(٣) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٢/ ٣١٧ – ٣١٨ ؛ الطبري ؛ تاريخ الأمم والملوك، ٤/ ١٢٩، ابن الأثير، الكامل، ٥/ ١٥٥.

التشرذم والاندحار التي وقع فيها الخزر ولم يتابع فلولهم، وآثر السلامة مكتفياً بما حقق من نصر وسلك طريق العودة نحو أردبيل(١).

ومع حلول العام ١١١هـ / ٧٢٩م، أعاد الخزر الكرة وهاجموا القوقاز، حيث استولوا على مدن كثيرة من أذربيجان موقعين الخوف والرعب في نفوس سكانها، وأهلكوا الحرث والنسل وأتوا على الأخضر واليابس، وشرعوا في مهاجمة أردبيل، فتصدي لهم مسلمة بجيشه ونجح في تفريق جموعهم، غير أنه كرر خطأه السابق حيث لم يتابع فلولهم ولم يقم بتصفية بعض الجيوب التي خلفوها وراءهم(٢).

موقعة مرج أردبيل ١١٢ هـ / ٧٣٠م:

استمرت الحرب بين الخزر والدولة الأموية بصفة شبه سنوية ولم تكد تتوقف منذ عهد يزيد بن عبد الملك (١٠١ – ١٠٥ هـ / ٧٢٠ – ٧٢٤م) وبالرغم من عدم توقف حملات المسلمين على بلادهم ووقوع عدد من المعارك بين الجانبين خرج المسلمون في معظمهما منتصرين، إلا أن ذلك لم يمنع تكرار هجماتهم على القوقاز، كما أن هجمات المسلمين على الخزر لم تكن حاسمة ولم تنجح في كسر شوكتهم، فلم يكد قادة المسلمين يردون لهم جيشاً حتى يفاجئوا بجيش أخر أكثر عدداً وأحسن عدة، حتى أنهكوا جيش الخلافة في قتالهم، وهذا ما دفع هشام بن عبد الملك إلي تغيير ولاية القوقاز فعزل مسلمة بن عبد الملك وأعاد إليه الجراح الحكمي بحثا عن نتيجة حاسمة ونصر مبين على الخزر، وهذا يدل على أن ولاية القوقاز وحكمه قد يكون مرهونا بتحقيق نتائج إيجابية على الجبهة مع الخزر، وعلى الجانب الآخر فقد أعد الخزر جيشاً جراراً أضعاف ما تعارف عليه

(١) الطبري، تاريخ، ١٢٩ ؛ الكوفي، الفتوح، ٨/ ٢٨٢ – ٢٩٦.
(٢) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص ٣٢٨ ؛ الطبري، تاريخ، ٤/ ١٣٧.

المسلمون، وعقدوا عدداً من التحالفات مع ملوك جبال القوقاز للاشتراك في الهجوم على أذربيجان[١] وبدأت هذه الجموع في التحرك نحو أردبيل فعبروا نهر الرس[٢]، وبدأ الجراح في الاستعداد لملاقاتهم وأعاد تنظيم جيشه وضم إليه عدداً من المتطوعين لمواجهة سيل الخزر الجارف، وخرج بالجيش لملاقاتهم وألتقي بهم عند مرج أردبيل[٣] شمال أردبيل ودار قتال عنيف بين الجيشين وكانت ملحمة عظيمة انتصر فيها الخزر وقتلوا من المسلمين عدداً كبيراً من بينهم القائد الجراح بن عبد الله الحكمي[٤].

وبعد هزيمة جيش الخلافة في مرج أردبيل ومقتل عامة الجيش وفرار قلة قليلة منه، أصبح طريق الخزر نحو القوقاز مفتوحاً ولا يوجد ما يعوقهم، فلما وصلوا أردبيل فرضوا عليها الحصار وضربوها بالمجانيق، واستماتت الحامية العسكرية في الدفاع عن المدينة، ولكن دون جدوى فلا أمل في نجدتهم، ولما ضيق الخزر عليها الخناق سلمت لهم فقتلوا عناصر الحامية العسكرية، ونكلوا بسكانها وكان المصاب جللاً على من بها من السكان[٥].

ولم يقف الخزر عند الاستيلاء على أردبيل حيث تقدمت جموعهم، وعاثوا فساداً في منطقة الجزيرة وجنوب القوقاز أرمينية وأذربيجان، ووصلوا الموصل جنوباً[٦].

وأخذت تنعقد في الأفق سحب داكنة أخذت تزحف ببطيء نحو دمشق مهددة ومعرضة الخلافة الأموية ذاتها إلي خطر الهلاك، فوقع اختيار هشام بن عبد الملك على سعيد الحرشي لولاية القوقاز وحرب الخزر.

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٤/ ١٣٩ ؛ الأزدي، تاريخ الموصل، ٢/ ٣٢، ابن الأثير، الكامل، ٥/ ١٥٩ – ١٦٢.
(٢) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص ٣٤١ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٣/ ٣٢٦ ؛ كيستلر، القبيلة الثالثة عشرة، ص ٣٥
(٣) الطبري، تاريخ، ٤/ ١٣٩ ؛ ابن الأثير، الكامل، ٥/ ١٥٩.
(٤) خليفة بن خياط، تاريخ، ص ٣٢٤، كيستلر، المرجع السابق، ص ٣٥.
(٥) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص ٣٤٢ ؛ الكوفي، الفتوح، ٨/ ٢٦٧ – ٢٦٩.
(٦) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٤/ ١٣٩.

ولم يكن اختيار سعيد الحرشي من باب المصادفة، إذ أنه وبالإضافة إلي كفاءته العسكرية كانت له خبرة وسابق معرفة بقتال الترك في خراسان وله معهم صولات وجولات؛ فبذل جهوداً كبيرة في إعادة إحياء هذه الجبهة، فكان في سيره نحو القوقاز يستنهض همم الناس ويحثهم على الجهاد ومقاتلة الخزر، وأخذ يجمع شعث وشتات جيش الجراح ثم شرع في تعقب جيش الخزر ويسترد ما استولوا عليه المدينة تلو الأخرى، حيث بدأ بمدينة خلاط فضرب عليها الحصار إلي أن استرجعها من أيديهم(١).

وانتقل منها إلي مدينة برذغة التي فر منها الخزر، فخرج إليه أهلها مستبشرين وانخرط عدد كبير منهم في جيشه، ثم توجه إلي مدينة ورثان، حيث كان الخزر قد فشلوا في حصارها فتركوها وولوا هاربين فدخلها الحرشي بجيشه(٢).

واتجه الحرشي بعد ذلك بجيشه نحو مدينة أردبيل حيث نجح في استعادة السيطرة عليها، وبدأ في الاستعداد للدخول مع الخزر في معركة فاصلة، فبدأ يتحرك بالجيش صوب جموعهم حيث عسكروا على مقربة من مدينة ورثان، فوصل قريباً منهم ليلاً، ومع أول خيط للفجر انقض على معسكر الخزر وأعمل فيهم القتل بعد أن عم الهرج والمرج صفوفهم، ففر عدد كبير منهم إلي مدينة برزند(٣) وتحصنوا بها، فتقدم الحرشي نحوهم واشتبك معهم في معركة فاصلة واستمات الخزر في الدفاع عن مراكزهم الأمامية وأجبروا المسلمين على التراجع والتقهقر للخلف، وبدأت تلوح في الأفق نذر الهزيمة، ولم ينقذهم في هذه المعركة من هزيمة قاسية سوي سماعهم أصوات استغاثة الأسرى المسلمين الذين وقعوا في قبضة الخزر وهم ينادون عليهم ويناشدونهم بالله ورسوله أن يفكوا أسرهم، فحض المسلمون بعضهم بعضاً وتقدموا واضطروا الخزر إلي الفرار من ساح

(١) ابن الأثير، الكامل، ٥/ ١٦٠ – ١٦٢ ١٧٢.
(٢) الكوفي، الفتوح،٨/ ٢٧٢ .
(٣) برزند : مدينة آهلة بالسكان بالقرب من أردبيل تعد ثالث مدن أذربيجان من حيث الأهمية بعد أردبيل وتبريز. انظر : المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٣٧٨.

المعركة فسقط الكثير منهم غرقي في نهر الرس، وحمل المسلمون أسراهم وغنائمهم وأسلابهم وعادوا بها إلي مدينة باجروان لالتقاط الأنفاس وترتيب الأوراق(١).

وعلى ما يبدو أن هذه الهزيمة قد آلمت الخزر كثيراً فأعادوا تنظيم جيش آخر أكثر عدداً وأفضل عتاداً بقيادة نارستك نجل خاقان الخزر، وتوجه هذا الجيش وعسكر على مقربة من مدينة البيلقان فاستخلف الحرشي على القوقاز وترك بها حامية عسكرية لحمايتها، وانتقل بالجيش حيث التقي بالخزر عند نهر البيلقان(٢) وبعد أول يوم من القتال مال كل فريق إلي فئته بعد أن جن عليهم الليل، وقبيل الفجر باغت الحرشي بجيشه الخزر وأخذوهم على حين غرة وقتلوا منهم أعداداً كبيرة وتكفل نهر البيلقان بالبقية الباقية، حيث غرق فيه الكثير بعد أن جرفتهم سرعة تياره، وأرسل الحرشي إلي هشام بن عبد الملك يخبره بما كان بينه وبين الخزر من أحداث ومعارك، وبما فتح الله على يديه(٣).

وبعد هذا الانتصار الذي حققه الحرشي على الخزر وقع له ما لم يكن في الحسبان: إذ أن مسلمة بن عبد الملك – والي الجزيرة والقوقاز – أهان سعيد الحرشي وأغلظ له القول وأمر بسجنه وحمله في الأغلال، بعد عزله عن ولاية القوقاز، ولم ينقذ الحرشي من هذا الموقف الصعب سوي علم هشام بن عبد الملك بما حدث له وأمره لمسلمة بفك أسره وتكريمه ووبخ مسلمة على ما بدر منه تجاه الحرشي(٤).

وعلى ما يبدو أن مسلمة بن عبد الملك قد أقدم على هذا العمل عقاباً لسعيد الحرشي الذي تخطاه على سلم ترتيب المناصب وقام بمخاطبة هشام بن عبد الملك الخليفة رأساً دون الرجوع إلي المنصب الأعلى منه مباشرة وهو مسلمة ودون أن يطلعه على تفاصيل الأحداث.

---

(١) الكوفي، الفتوح، ٨/٢٨٠ – ٢٨٤.
(٢) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٢/ ٣١٧ ؛ دحلان، الفتوحات الإسلامية، ص ١٧٤.
(٣) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص ٣٤٢ ؛ كيستلر، القبيلة الثالثة عشرة، ص ٣٥.
(٤) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٢/ ٣١٧ ؛ فايز إسكندر: مرجع سبق ذكره، صـ.

هذه الأحداث التي أعقبت انتصار الحرشي على الخزر كانت دافعاً لعودة مسلمة بن عبد الملك إلي القوقاز ومباشرة مهام عمله منها بنفسه، وأراد أن يستغل انتصار الحرشي على الخزر وحالة الوهن التي أصابتهم فقام بمطاردة فلولهم وتصفية ما تبقي لهم من جيوب مقاومة وتعقبهم من حصن إلي آخر إلي أن انتهي إلي مدينة باب الأبواب فقضي بها الشتاء، وقام بإعادة بناء مدينة أردبيل وترميم حصونها وأسوارها لأنها خط الدفاع الأول ليس لأردبيل وحدها بل لكل القوقاز(١).

ومع مطلع صيف عام ١١٣ هـ / ٧١٣م، واصل مسلمة نشاطه الحربي، فخرج بجيش كبير استهل به القلاع والحصون الموجودة في جبال القوقاز فاستولي على عدد كبير منها، ثم أردف بالاستيلاء على مملكة شروان(٢) وعقد اتفاق صلح مع حاكمها ثم عرج نحو الخزر ؛ فتوغل في عمق أراضيهم حتى وصل جبال مدينة بلنجر حاضرة الخزر، ودخل معهم في معركة لم تكن متكافئة إذ بدا الخزر متأثرين بما وقع لهم من هزائم على يد الحرشي ومسلمة فدارت عليهم الدائرة وحاقت بهم الهزيمة، وأصبح الطريق مفتوحاً أمام مسلمة إلي مدن الخزر الرئيسية بعد فرار جيش الخزر، غير أن مسلمة تريث كثيراً حتى وصل به إلي درجة التباطؤ، واغتر بنصره عليهم وظن أنه لن تقوم لهم قائمة، فاستغل الخزر هذا الموقف وشكلوا جيشاً آخر وأخذوا زمام المبادرة وهاجموا جيش مسلمة الذي أثر التراجع وكان قصاراه السلامة ونادي في الجيش بالانسحاب وانحاز إلي أقرب فئة، فتوجه بالجيش إلي مدينة باب الأبواب وتحصن بها(٣).

ولاية مروان بن محمد على القوقاز ١١٤ هـ / ٧٣٢م:

(١) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص ٣٤٣.
(٢) شروان : مدينة وقلعة في جبال القوقاز على الطريق الرئيسي المؤدي إلي مدينة باب الأبواب، على بحر الخزر (قزوين) وتقع إلي الشمال الشرقي من مدينة أردبيل، وسميت بذلك نسبة إلي أول من بناها وهو كسري أنوشروان، انظر : الحموي، معجم البلدان، ٣/ ١٣٧.
(٣) خليفة بن خياط، تاريخ، ص ٣٤٤ ؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٢/ ٣١٧ – ٣١٨.

كان مروان بن محمد أحد أفراد جيش مسلمة بن عبد الملك الذي خاض الحرب مع الخزر وملوك جبال القوقاز ورأي بأم عينيه ما حدث من إهانة لسعيد الحرشي وما ارتكبه مسلمة من أخطاء بعضها إدارية ومعظمها حربية، وقد آلمته كثيراً هذه الأحداث، فأغتنم فرصة توقف القتال، وذهب سراً إلي دمشق واجتمع بالخليفة هشام بن عبد الملك وأعرب له عن استيائه الشديد من تصرفات مسلمة الإدارية والحربية، وأوقف الخليفة هشام على طبيعة الموقف في الحرب مع الخزر، وسرد له أخطاء وسقطات مسلمة وطلب منه أن يوليه إمرة القوقاز وأن يمده بجيش كبير لمنازلة الخزر، ويزيل عن الخلافة الأموية غبار الفرار المهين الذي اتبعه مسلمة في آخر جولات الحرب معهم، فأجابه هشام إلي ما أراد(١).

وللحقيقة فإن مروان بن محمد كان يتمتع بعبقرية عسكرية، وكان يجيد الخدع العسكرية، حيث أعاد تشكيل الجيش من جديد، وغير من تنظيماته ليواكب ويناسب طبيعة الحرب مع الخزر، حيث اعتمد في تشكيل الجيش على نظام الكراديس (الوحدات الصغيرة) التي تعطي الجيش تماسكاً وسرعة في الحركة(٢).

وتعتبر ولاية مروان بن محمد للقوقاز فتحاً كبيراً وبداية لمرحلة فارقة في تاريخها، إذ أنه أعاد لها استقرارها وهيبة الدولة الأموية في الحرب مع الخزر، حيث اتبع تكتيكات حربية ماكرة ؛ فبعد أن ولاه الخليفة هشام بن عبد الملك القوقاز وحرب الخزر طلب منه أن يمده بمائة وعشرين ألف مقاتل وأن لا يعلن وجهة هذا الجيش وأن يظل ذلك سراً حتى يحقق ما يريد، فتحرك بالجيش وأظهر أنه يريد اجتياح مناطق القوقاز وأنه يريد أن يتفرغ لهذا العمل وأرسل إلي الخزر يطلب المهادنة وعقد اتفاق سلام معهم، فأجابوه إلي ما أراد، وأرسلوا إليه من يقرر بنود الصلح، فلما جاءه الرسل ظل يماطلهم حتى استكمل استعداداته الحربية، ولما أصبح على أهبة الاستعداد طردهم وآذنهم بالحرب وسيرهم إلي بلادهم عبر طريق فيه بعد ومشقة، وسار هو بجيشه نحو الخزر من أقصر

(١) ابن الأثير، الكامل، ٥/ ١٧٧ – ١٧٩ ؛ ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ٣/ ١١٤.
(٢) وسام عبد العزيز، العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية، ص ٢٢٤ – ٢٢٥.

الطرق، فما أن وصلت رسل الخزر إلي بلاط خاقانهم إلا ومروان في عقبهم يطرق أبوابهم، وأخذهم على حين غرة، فلم يجد الخزر سوي محاولة الفرار، ومروان يتعقبهم بجيشه، حتى وصل إلي أقاصي بلادهم، وفي طريق عودته أخذ يدمر مدنهم الرئيسية، حتى لا تقم لهم قائمة سريعاً ثم بدأ رحلة العودة إلي أذربيجان[١].

وفي طريق عودته إلي أذربيجان عرج مروان بجيشه على جبال القوقاز، وتنقل بين حصونها الرئيسية، فاستهل حملته باقتحام مملكة السرير[٢] وأرغمهم على دفع فدية سنوية، ثم توجه إلي قلعة حمزين[٣] ودخلها عنوة، وفرض عليها فدية سنوية من مال وعبيد تدفع بصفة دورية، ثم جاز الدرب نحو مملكة اللكز[٤] فحاول حاكمها الفرار واللجوء إلي الخزر فقتله أحد أتباعه، وعين مروان عليها حاكماً جديداً، ثم عاد إلي أذربيجان[٥].

وبالنظر إلي حماسة مروان ونيته التي أظهرها في قتال الخزر، كان المأمول أن يواصل الحرب معهم حتى يقضي على خطرهم، ولكنه بعد هذه الحملة المزدوجة على الخزر وملوك القوقاز توقف عن الحرب بصورة مفاجئة، ومكث في أذربيجان ثلاث سنوات متوالية، وعلى ما يبدو أن الحرب مع الخزر قد تأثرت بأحداث العالم الإسلامي آنذاك، فوقوع الطاعون الذي ضرب الشام والعراق سنة ١١٥ هـ / ٧٣٣م، وربما القحط الشديد الذي أصاب خراسان[٦] وهذه الأقاليم

(١) ابن الأثير، الكامل، ٥/ ١٧٧ – ١٧٩ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٣/ ٣٤٨ – ٣٤٩،.
(٢) مملكة السرير : أحد القلاع الحصينة بالقرب من باب الأبواب إلي الشمال الشرقي من أردبيل، وهي الآن ضمن حدود جمهوريات الاتحاد الروسي. انظر: الحموي، معجم البلدان، ١/ ١٩٧ .
(٣) قلعة حمزين : أحد القلاع الحصينة الواقعة في سلسلة جبال القوقاز إلي الشمال من أذربيجان، انظر : ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص ٢٩٦.
(٤) مملكة اللكز : مملكة واسعة ذات أقاليم ومدن وقرى في سفوح جبال القوقاز، إلى الشمال الشرقي من أذربيجان. انظر، ابن الوردي، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، ص ٨٣، أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ٣٨٦ – ٣٨٧.
(٥) ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ٣/ ١١٥، الحنبلي، شذرات الذهب، ١/ ١٤٧.
(٦) ابن كثير، البداية والنهاية، ٩/ ٣١٣ ؛ وسام عبد العزيز فرج، العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية، ص ٢٩٩.

تعتبر من الناحية العملية مستودع الإمدادات لجيوش الخلافة الأموية كما أنها هي الظهير الحربي لجبهة الخزر وبيزنطة، ويمكن اعتبار المصاب الأليم الذي أصاب الدولة الأموية في موقعة بلاط الشهداء[١] جنوب فرنسا، وارتداد جيوش الخلافة عن جنوب أوروبا[٢] ويمكن اعتبار هذه العوامل سبباً في حدوث فترة السكون التي أعقبت أولي صولات مروان مع الخزر.

ويبدو أن الخزر وملوك جبال القوقاز قد أرادوا استغلال حالة الوهن والحزن التي عمت العالم الإسلامي وأخذوا يتعاونون فيما بينهم لشن حملة جديدة على جنوب القوقاز، يردون بها اعتبارهم بعد هزيمتهم السابقة، غير أن مروان كان سباقاً في الهجوم، فخرج إليهم بجيشه سنة ١١٧ هـ / ٧٣٥م وشن عليهم حرباً وقائية واستولي على عدد من الحصون والقلاع التي أبدت تعاوناً مع الخزر واحكم قبضته على الطرق والممرات على الطريق الرئيسي إلي بلاد الخزر[٣].

ولما دهم الشتاء مروان قفل عائداً إلي أذربيجان ثم عاد مرة ثانية إلي جبال القوقاز سنة ١١٨هـ / ٧٣٦م، واستولي على معظم القلاع والحصون القريبة من أذربيجان والتي قد تشكل خطراً عليها[٤].

ورأى مروان في محاولات ملوك جبال القوقاز التحالف مع الخزر خطراً يهدد حدود الدولة الأموية ووجودها في القوقاز، فشن عليهما حرباً عسكرياً موسعة، بدأها بقلعة اللان سنة ١١٩هـ / ٧٣٧م، حيث ضرب عليها الحصار إلي أن سقطت في يديه، فقام بتدمير تحصيناتها، ثم عرج نحو مناطق الخزر، فاستولي

(١) بلاط الشهداء : في المصادر العربية أو تور بواتيه في المصادر الغربية، موقعة شهيرة في تاريخ الإسلام والتاريخ العالمي، ووقعت سنة ١١٤هـ / ٧٣٢م، عن تفاصيلها انظر : محمد بن عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس،، ط القاهرة، ٢٠٠١م، ١/ ١٠٠ – ١٠٩، وسام عبد العزيز فرج، المرجع السابق، ص ٢٢٦ – ٢٢٨.

(٢) محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ١/ ١١٢، وسام عبد العزيز، المرجع السابق، ص ٢٢٦ – ٢٢٧.

(٣) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص ٣٤٨ ؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٤/ ١٥٧ ؛ الأزدي، تاريخ الموصل، ٢/ ٣٨.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ٥/ ١٩٨ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٣/ ٣٥٠.

على أهم مدنها الرئيسية فدخل مدينة بلنجر بدون عناء، ثم استولي على مدينة سمندر[١] ومنها انتقل إلي مدينة البيضا حيث فر إليها خاقان الخزر ووزراؤه وخاصته، وضرب عليها الحصار وضيق عليهم الخناق، حتى يئس الخزر من تراجع مروان، فخرجوا منها هائمين على وجوههم، فدخلها مروان وأقام بها وجعلها قاعدة لانطلاق حملات الإغارة والتتبع لفلول الخزر الهاربة[٢].

وقد تواصلت هذه الحملة إلي عام ١٢٠هـ / ٧٣٨م، حيث امتد نشاط مروان إلي ما تبقي من مناطق الخزر الشمالية النائية، وفي طريق عودته إلي أذربيجان، سلك الطرق المؤدية إلي ممالك وملوك جبال القوقاز فاستولي على ما كان قد خرج عن قبضته من حصون وقلاع[٣].

وفي العام ١٢١ هـ / ٧٣٩م، أعاد مروان الكرة بالهجوم على جبال القوقاز، وكانت وجهته هذه المرة مملكة السرير وما جاورها من قلاع وحصون، فدخلها عنوة وفرض على حكامها دفع فدية سنوية[٤].

وأعقب هذا النشاط العسكري المحموم الذي قام به مروان بن محمد والي أذربيجان – فترة من السكون طالت قليلاً إلي بداية عصر الدولة العباسية، وللحقيقة فإن ظروف الدولة الأموية الخارجية والداخلية قد فرضت هذا السكون، ففي سنة ١٢٢هـ / ٧٣٩ – ٧٤٠م لقيت الدولة الأموية الهزيمة في الحرب مع بيزنطة في موقعة اكروينون[٥] وقتل القائد عبد الله البطال[١]، كما

(١) سمندر : أحد أهم مدن الخزر الشمالية، وهي من بناء الملك الفارسي أنوشروان بن قباذ بن كسري وقديماً كانت عاصمة الخزر، فلما دخلها سلمان بن ربيعة الباهلي انتقل الخزر عنها إلي مدينة إتل. انظر: ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص ١٢٤ ؛ الحموي، معجم البلدان، ٣/ ٧١.
(٢) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص ٣٤٩ ؛ ابن الأثير، الكامل، ٥/ ٢١٥.
(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٤/١٨١ ؛ ابن الأثير، الكامل، ٥/ ٢٢٨.
(٤) خليفة بن خياط، تاريخ، ص ٣٥١ ؛ الطبري، تاريخ،٤/ ١٩٣ .
(٥) موقعة اكروينون : وقعت بين المسلمين والبيزنطيين سنة ١٢٢هـ / ٧٣٩م – ٧٤٠ بالقرب من ثيم الأناضول، ولقي فيها المسلمون بقيادة البطال الهزيمة على أيدي البيزنطيين بقيادة ليو الايسوري وكانت هذه الهزيمة سبباً في تضاؤل هجمات العرب على وسط آسيا الصغرى،

أن الاضطرابات بدأت تموج في الدولة الأموية منذ أواخر عهد هشام بن عبد الملك، ففي الشرق من الدولة الأموية قامت حركة معارضة قوية وتذمر أهل السند بسبب الجزية التي كانت تؤخذ منهم رغم دخولهم الإسلام، ولقد حاول هشام قدر جهده وقف الفتنة والقضاء على عوامل الاضطراب، ولكن كانت الظروف أقوي منه، والأرض تميد من تحته، ومنذ منتصف عهد هشام بدأت الأمور تضرب في الغرب وكان البربر وراء هذا الاضطراب الذي زلزل كيان الدولة الأموية بعنف، حيث تذمر البربر من العمال العرب بعد موت عمر بن عبد العزيز لأنهم صاروا يعاملونهم معاملة سيئة ويذلونهم بأداء الجزية رغم كونهم مسلمين صادقين في إسلامهم ويشتركون معهم في الجهاد بحماس، ولقد أدت هذه المعاملة إلي إيغار صدور البربر على الدولة الأموية، كما اضطرمت الأندلس بالفتن وخرجت من حظيرة الدولة الأموية، ولم يبق للخلافة عليها سوي سلطة اسمية، واستقل الزعماء المتغلبون بحكم إفريقية بعد أن خرجت أطرافها القصوى عن قبضته الخلافة، وأخذ ملك بني أمية يهتز فوق بركان مضطرم من الدعوة العباسية(٢).

وإجمالاً فقد كانت الأرض تميد تحت أقدام الأمويين، وكان هشام بن عبد الملك هو آخر خليفة أموي قوي أراد أن يؤخر النهاية المحتومة قدر الاستطاعة، وحينما بدأت الحرب الأهلية في الاندلاع في جوف الدولة الأموية عام ١٢٧ هـ / ٧٤٤م، انفرط عقد الأمان والاستقرار الذي كان القوقاز يتميز به طوال فترة ولاية مروان بن محمد وأقبلت إليه الفتن تموج موجاً حيث لم يكن بمنأى عما يحدث في ربوع الدولة الأموية من قلاقل وفتن، فما كاد مروان يغادر إلي الشام حتى أعلنت حامية أذربيجان العسكرية العصيان بزعامة ثابت بن نعيم الجزامي، وتحرك هؤلاء الجند إلي مناطق جبال القوقاز وتحصنوا بها، فاضطر مروان إلي العودة

انظر : وسام عبد العزيز فرج، العلاقات بين الدول البيزنطية والدول الأموية، ص ٢٣٤ – ٢٣٨٩.

(١) عبد الله البطال : من مشاهير القادة الأمويين اتصف بالشجاعة، ولقد بلغ من فرط شجاعته أن قادة الروم كانوا يخشون الجيش الذي يقوده وله وقائع وقصص كثيرة. وللمزيد انظر : ابن كثير، البدية والنهاية، ٩/ ٣٣٥ – ٣٣٧ ؛ دحلان، الفتوحات الإسلامية، ص ١٨٩ – ١٩٠.

(٢) وللمزيد من التفاصيل انظر : محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ١/ ١٤٠ – ١٤٦، العريني، الدولة البيزنطية، ص ١٨٦.

أدراجه وقاتلهم إلي أن استطاع القبض على ثابت بن نعيم وأعوانه فوضعهم في القيود(١).

وما كاد مروان يجاوز هذا العصيان حتى استعر الصراع المحوم بين الخوارج للسيطرة على القوقاز، حيث أن مروان قد استناب على المدينة عاصم بن يزيد الذي انتقل بحاميته العسكرية إلي مدينة البيلقان، فاستغل خوارج الشراة هذا الفراغ واستولوا على أردبيل وأخذوا يحشدون حشودهم فيها وبدأ زعيمهم مسافر بن كثير القصاب في الخروج لقتال عاصم بن يزيد في البيلقان، وبالرغم من أن عاصم أرسل إلي مروان يستنجده فأمده بجيش كبير، ولما التقي الفريقان بالقرب من نهر البيلقان، تمكن الخوارج من هزيمة جيش الخلافة وقتل قائده عاصم واستولوا على ما كان بجيشه من غنائم وأسلاب ودخلوا مدينة البيلقان واستولوا عليها(٢).

وتولي إمرة القوقاز بعد عاصم القائد عبد الملك بن مسلم العقيلي وأمده مروان بجيش آخر، وضم إليه بقايا جيش عاصم، وأصبحت المهمة صعبة على الوالي الجديد إذ أن الخوارج الشراة تكاثرت أعدادهم وانتشرت دعوتهم ولاقت ترحيباً كبيراً ليس في القوقاز وحده ولكن امتد إلي القوقاز ومنطقة الجزيرة، ولما دارت رحى الحرب بين جيش الخلافة وخوارج الشراة في موقع يسمي جسر الحجارة، وقتل عبد الملك بن مسلم العقيلي فتولي القيادة بعده أخوه إسحاق، ودارت الحرب سجالاً بين الفريقين إلي أن تمكن إسحاق من هزيمة الشراة وقتل زعيمهم مسافر بن كثير القصاب(٣).

وفي عام ١٢٨هـ / ٧٤٥م، استطاع الخارجي بسطام بن ليث التغلبي زعيم خوارج البيهسية(٤) من السيطرة على مدينة أردبيل وعدد من مدن القوقاز وعاثوا

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ١٠/ ٢٩.
(٢) الكوفي، الفتوح، ٨/ ٣٣٧ – ٣٣٨.
(٣) الكوفي، نفس المصدر، ٨/ ٣٣٨.
(٤) البيهسية : أحد فرق الخوارج التي تنسب إلي أبي بيهس بن جابر، ومما جاء به الولاية لأولياء الله والدار دار كفر والاستعراض فيها جائز وإن أصيب الأطفال فلا حرج، وقال : أن مخالفوه هم أعداء كأعداء رسول الله ﷺ تحل الإقامة معهم كما فعل المسلمون الأوائل،

فيها فساداً وأهلكوا الحرث والنسل واعترضوا طريق القوافل التجارية، واستولوا على كثير منها، وأشاعوا الخوف والرعب بين الناس، فأرسل إليهم مروان بنائبه عبد الملك بن زيد فلم يستطع فعل شيء بل إنه لقي حتفه في قتالهم[١] وازدادت معاناة سكان القوقاز حيث تنازع الخوارج أنفسهم للسيطرة على الإقليم، حيث نازع سعيد بن بهدل الشيباني بسطام الليثي السيطرة على أذربيجان، وتمكن الخيبري قائد سعيد بن بهدل من طرد بسطام الليثي من أذربيجان وأخضعها لحكم سعيد بن بهدل[٢].

ولم يمهل القدر سعيد طويلاً، فبعد وفاته استخلف الخوارج الضحاك بن قيس الشيباني فأحكموا قبضتهم على القوقاز، وصار تحت لوائهم الآلاف من الإتباع، استطاع أن يرد بهم أكثر من جيش لمروان، وامتد نفوذهم إلي الكوفة التي سيطروا عليها[٣].

وبدأت بوادر النجاح تلوح أمام حركة الخوارج بزعامة الضحاك أكثر مما لاحت لمروان بن محمد، الذي تعرض لضياع منطقة الجزيرة بأكملها، مما اضطره إلي تكوين جيش ضخم قاده بنفسه والتقي بالضحاك فهزمه وقتله فاستخلف الخوارج عليهم الخيبري، فالتقي به مروان هو الأخر ولم يثبت مروان هذه المرة أمام شدة هجمات الخوارج وفر من الجيش فدخل الخيبري خيمته وجلس على أريكته، غير أن موالي مروان تكاثروا عليه وقتلوه في أواخر العام ١٢٨هـ / ٧٤٥ – ٧٤٦م ؛ فاختار الخوارج شيبان بن عبد العزيز اليشكري ليقودهم، وظل مروان يتتبع فلول الخوارج ويرسل لهم الجيش تلو الآخر حتى قتل شيبان بن العزيز اليشكري وشرذم أتباعه[٤].

انظر : ابن قتيبة، المعارف، صـ٦٢٢ ؛ الرازي، كتاب الزينة، ص ٢٨٤ ؛ عمر أبو النصر اليافي، الخوارج في الإسلام، ط بيروت، ١٩٥٨، صـ ١٢١.

(١) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص ٣٨٠، الحنبلى، شذرات الذهب، ١/ ١٨٤.

(٢) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص ٣٨٠ ؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٤/ ٢٨٣ – ٢٨٤.

(٣) ابن قتيبة، المعارف، ص ٤١٢ ؛ الطبري، تاريخ،٤/ ٢٨٣ – ٢٨٤، الثعالبي، أدب الملوك، تحقيق خليل عطية، ط بيروت، ١٩٩٠، ص ٧٥.

(٤) الطبري، تاريخ ٤/ ٣٠٠ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١٠/ ٣٢ – ٣٣.

ولقد سر مروان بنهاية الخوارج سروراً كبيراً، ولكن لم يتم له سروره، إذ أعقبه القدر بمن هو أقوى شوكة وأعظم أتباعاً وأشد بأساً من الخوارج، وهو أبو مسلم الخراساني داعي دولة بني العباس، وبالرغم من قدرة وكفاءة مروان العسكرية ومهارته السياسية إلا أن أيام الدولة الأموية كانت مدبرة والأرض تتزلزل من تحتهم وقبيل انتهاء الدولة الأموية كان مروان قد استناب على القوقاز إسحاق بن مسلم العقيلي(١).

الخاتمة

بعد الانتهاء من الدراسة وضح للباحث عددًا من النتائج وجد أنه لابد من ذكرها حتى تتم الفائدة، فقد كانت سيطرة الدولة الإسلامية على الإقليم غير مستقرة لاسيما طوال فترة الحكم الراشدي فلا تكاد تمر سنة إلا ويكون فيها حملة عسكرية على الإقليم إما لفتح جديد أو لإعادة سيطرة على منطقة خلعت الطاعة وفي هذا دليل على عدم إتمام سيطرة الدولة الإسلامية على الإقليم، كما كان للإقليم وضع خاص في الدولة الإسلامية فقد كان هناك تنازلات كثيرة لأهله من قبل الدولة الإسلامية مثلما فعل عبد الرحمن بن ربيعة عندما أعفي أهل شمال القوقاز من دفع الجزية عندما رأي أن في هذا الإعفاء مصلحة للمسلمين، ومثل صلح حبيب بن مسلمة مع أهل تفليس عندما فرض الجزية ديناراً واحداً على أهل كل بيت، وكاعتراف حبيب بن مسلمة باستقلال أرمينية وعدم حكم العرب لها حكماً مباشراً بل كان الحكم العربي من خلال الحكام المحليين من الأرمن، وتقديم

(١) صابر محمد دياب، أرمينية، ص ٥٦ – ٥٧، حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج١ صـ٣٩٥، ٣٩٦.

أرمينية ١٥ ألفاً من المقاتلين لخدمة جيش الإسلام على أن لا يذهبوا للقتال في الشام، وكذلك في الصلح الذي عقده معاوية بن أبي سفيان مع أرمينية إذ نص على إعفاء أرمينية من الجزية مدة ثلاث سنوات.

وكان معظم قادة وحكام الإقليم في العهد الراشدي وبداية الحكم الأموي من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل حذيفة بن اليمان وعتبة بن فرقد وعياض بن غنم والأشعث بن قيس وصفوان بن المعطل السلمي الذي توفى في أرمينية ومما لاشك فيه أنهم كان لهم دور كبير وعامل نفسي في حروب المسلمين وفي نشر الإسلام في الإقليم مثل الأشعث بن قيس.

وشتان في المعاملة بين العهد الراشدي والأموي فبعدما كان الحكام المسلمون للإقليم في العهد الراشدي يتسمون باللين في تعاملهم مع أهل الإقليم نجد أنها في العهد الأموي اتسمت بالصرامة لاسيما مع قادة ورءوس الثورة مثلما فعل محمد بن مروان، واستكمل عبد العزيز بن حاتم سياسته لإخماد ثورة الأرمن وكانت الأحداث الداخلية واضطرابات الدولة الإسلامية تؤثر بالسلب على الإقليم ففي أثناء فترة الصراع بين على بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان قامت بيزنطة مستغلة هذه الاضطرابات بالسيطرة على أرمينية وأران بالثورة وخلعت الطاعة وتنازل عبد الملك عن نصف خراج أرمينية.

وفي عهد الدولة الأموية بدأت دولة الخزر تدخل كبعد سياسي جديد لأحداث الإقليم، فشهدت العلاقة بين الدولة الأموية ودولة الخزر مدا وجزراً حربياً على أرض الإقليم، فلم تتوقف هجمات الخزر على الإقليم وما نتج عنه من قيام قادة الإقليم بحملات للدفاع عنه ومطاردة الخزر، وكانوا لا يتوقفون عن عمليات السلب والنهب في الإقليم ظل هذا الوضع على أن تولي مروان بن محمد الإقليم حيث أنه نقل مسرح المعارك إلي بلاد الخزر واستولي على عدد من مدنهم وأجبرهم على دفع الجزية للدولة الإسلامية والكف عن الهجوم على الإقليم كما كان دخول

الإسلام الإقليم سببا في إحداث تغييرات اجتماعية جذرية وتعديل النظـــام الإداري وتعديل نظام الحكم والسلطة والمدن التي بناها المسلمون في الإقليم.

كما استنتج البحث أن جهود نشر الإسلام في الإقليم لم تكن على المســـتوي المطلوب وفي هذا لصدد كانت نظرة القادة العرب لدول الإقليم متبانية، ففي الوقت الذي اهتم فيه القادة العرب بنشر الإسلام في أذربيجان نجد أن النظرة إلي أرمينية لا يعدو كونها إقليم حدود يجب تأمينه ضد هجمات بيزنطة بل أكثر من ذلك فقـــد كانت إدارة البلاد موكلة إلي حكام محليين من الأرمن.

وبصفة عامة فإن هذه الدراسة هي بداية وخطوة أولي فـــي طريـــق طويـــل للوصول إلي صورة متكاملة لتاريخ هذه المنطقة، وبالرغم من أن أصعب شـــيء في هذا الطريق بدايته فإن بقية هذا الطريق ليس بالسهل الميســـور، وأن هـــذه المنطقة ما زالت في حاجة إلي العديد من الدراســـات لإظهـــار حقيقـــة تاريخهـــا ومكانتها في الجسم الإسلامي الكبير، إذ أن هذه المنطقة هي إحدى بقـــاع العـــالم الإسلامي المشتعلة وما تشهده من صراعات يؤكد ذلك الرأي وما تضمه من دول وجمهوريات لها مكانتها على الساحة الإعلامية إذ أنها حالياً تمثل بؤرة الاهتمـــام العالمي مثل أذربيجان وأرمينية وجورجيا وجمهوريات شمال القوقاز (أنجوشيا – الداغستان – أوسيتيا الشمالية – شيشنيا) وأن أحـــداث هـــذه المنطقـــة تعطـــي الموضوع مكانة بين ما قدم من دراسات.

والله الموفق،،،

خريطة حديثة لبلاد القوقاز

خريطة توضح أقاليم القوقاز بمسماه القديم

جنوب القوقاز أو القوقاز الأسيوي

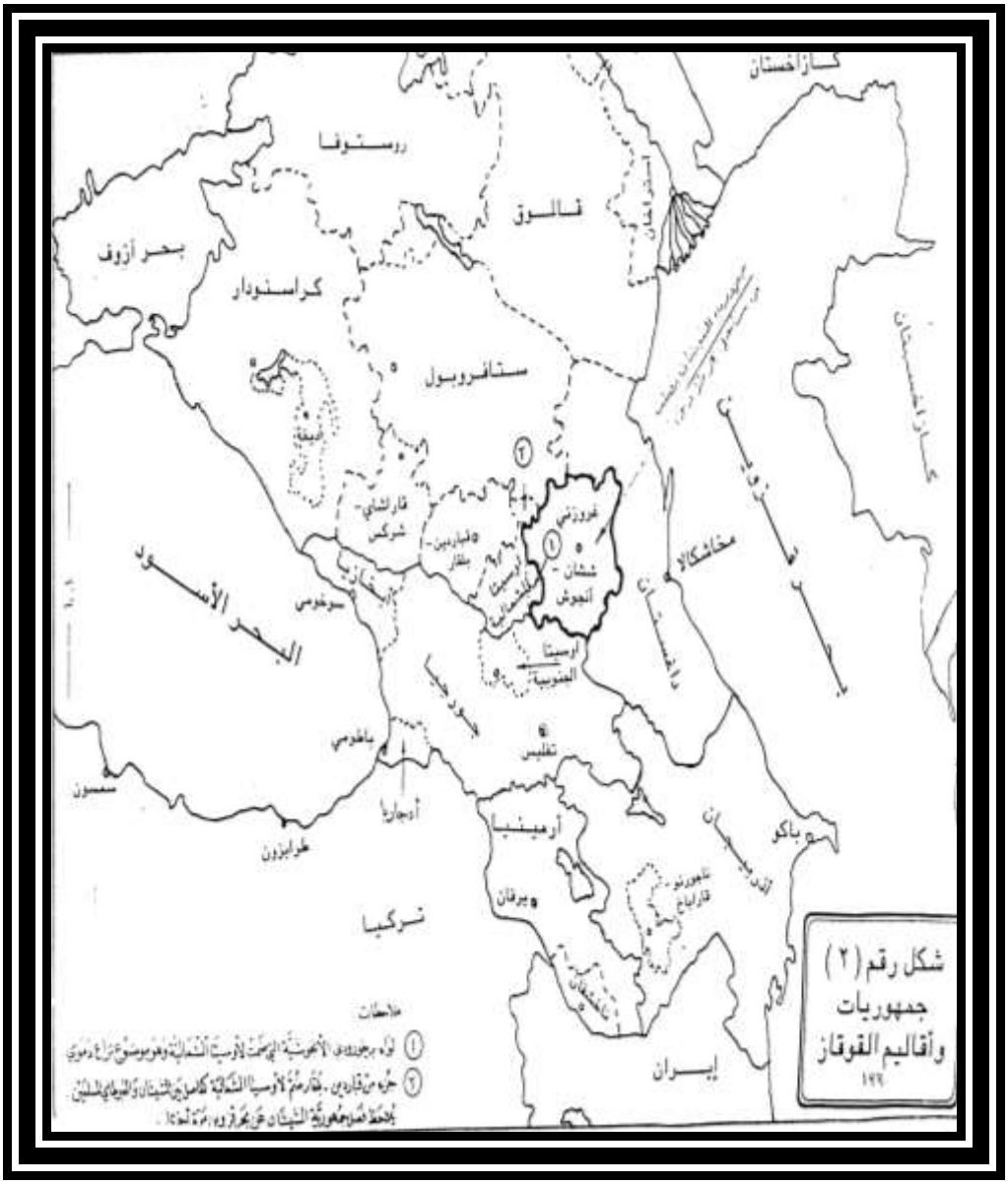
كازاخستان
روستوفا
قالموق
بحر آزوف
كراسنودار
ستافروبول
كازاخستان
مخاشكالا
البحر الأسود
سوخومي
باطومي
سمسون
طرابزون
أرمينيا
باكو
تركيا
إيران
شكل رقم (٢)
جمهوريات وأقاليم القوقاز
١٩٦

جمهوريات شمال القوقاز

المصـــــادر والمراجـــــع

أولاً: المصادر العربية المطبوعة:

- القرآن الكريم.

١- ابن الأثير:- أبي الحسن بن الكرم الشيباني – ت – ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢م.

ـ الكامل في التاريخ:- صححه محمد يوسف الدقماق – الطبعة الأولي – بيروت دار الكتب العلمية – ١٩٨٧م.

ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة – تحقيق محمد إبراهيم البنا – محمد أحمد عاشور – دار الشعب للطباعة.

٢- الأزدي: أبو زكريا يزيد بن محمد بن إياس بن القاسم الأزدي ت ٣٣٤ هـ/٩٤٥م.

ـ تاريخ الموصل – تحقيق على حبيبة – القاهرة – مطبعة لجنة إحياء التراث الإسلامي ١٣٨٧هـ – ١٩٦٧م.

٣- الاصطخري:- أبو إسحق إبراهيم بن محمد الفاسي الاصطخري الكرخي –

ـ المسالك والممالك – القاهرة – وزارة الثقافة والإرشاد القومي.

٤- الأصفهاني: الحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني – ت ٤٣٠ هـ/١٠٣٨م.

ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء بيروت – دار الفكر العربي.

٥- الأصفهاني: حمزة بن الحسن الأصفهاني.

ـ تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء – طبعة برلين – مطبعة كاويان.

٦- البغدادي – صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي – ت ٧٣٩ هـ / ١٣٣٨م.

- مراصد الإطلاع في ذكر الأمنة والبقاع – ٣ أجزاء – تحقيق على محمد البجاوي – الطبعة الأولي – ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤م.

٧- البكري – أبو عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي – ت ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤م –

- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع – تحقيق مصطفي السقا – القاهرة – مطبعة لجنة التأليف والترجمة – ١٩٥٢م.

٨- البلاذري – أحمد بن يحي بن جابر البلاذري – ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢م.

- فتوح البلدان – تحقيق رضوان محمد رضوان – القاهرة – المكتبة التجارية –١٩٣٢م.

٩- الثعالبي:- أبو منصور عبد الماك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي – ت ٤٢٨ هـ / ١٠٣٦م.

- أدب الملوك – تحقيق خليل عطية – بيروت – دار الغرب الإسلامي – ١٩٦٣م.

- تاريخ غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم – طهران – مكتبة الأسدي – ١٩٦٣م.

١٠-الحموي:- القاضي شهاب الدين إبراهيم بن الدم – ت ٦٤٢ هـ –

- التاريخ الإسلامي المعروف بالتاريخ المظفري - تحقيق حامد زيان عاصم - القاهرة - دار الثقافة للطبع والنشر - ١٩٨٩م.
١١-الحموي:- شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي - توفى ٦٢٦ هـ / ١٣٢٨م.
- معجم البلدان - بيروت - دار صادر.
١٢-الحنبلي:- أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي (١٠٣٢ / ١٠٨٩ هـ)
- شذرات الذهب - بيروت - دار المسيرة.
١٣-ابن حوقل:- أبو القاسم بن حوقل النصيبي -
- صورة الأرض - الطبعة الثانية - طبعة ليدن - ١٩٣٩ م.
١٤-ابن خرداذبة:- أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبة ت ٣٠٠ هـ / ٩١٢م.
- المسالك والممالك - طبعة ليدن - مطبعة بريل - ١٣٠٩ هـ
١٥- الخوارزمي: أبو بكر عبد الله بن أحمد بن يوسف الكاتب الخوارزمي -
- مفاتح العلوم - القاهرة - مطبعة الشرق - ١٢٣٢ هـ.
١٦- ابن خلدون:- عبد الرحمن بن خلدون - توفى ٨٠٨ هـ / ١٤٠٦ م.
- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر - ضبط الحواشي ووضع الفهارس خليل شحاتة - بيروت - دار الفكر - ١٩٨٨م.
١٧- خليفة بن خياط: ت ٢٤٠ هـ / ٨٥٤ م.
- تاريخ خليفة بن خياط تحقيق أكرم ضياء العمري - الرياض - دار طيبة للطبع والتوزيع - ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م.
١٨- الدميري: كمال الدين الدميري:-
- حياة الحيوان الكبرى - القاهرة - المكتبة التجارية الكبرى.
١٩- الديار بكري:- حسين بن محمد بن الحسن الديار بكري.
- تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس - بيروت - مؤسسة شعبان - ١٩٨٤م.
٢٠- الدينوري:- أبو محمد عبد الرحمن بن مسلم بن قتيبة الدينوري ت ٢٧٠ هـ - ٨٨٣م.
- الإمامة والسياسة: القاهرة - مطبعة الأمل - ١٣٢٨ هـ.
- عيون الأخبار. القاهرة - مطبعة دار الكتب المصرية - ١٣٤٣ هـ / ١٩٢٥م.
- كتاب المعارف - الطبعة الأولي - القاهرة - المطبعة الإسلامية - ١٩٣٤م.
٢١- الذهبي:- شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي - ٧٤٨ هـ / ١٣٤٨م.
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام - القاهرة - مطبعة السعادة - ١٣٦٨م.
- سير أعلام النبلاء - الطبعة الثالثة - بيروت - ١٩٨٥م / ١٤٠٥ هـ.

٢٢- الزبيري: أبو عبد الله المصعب بن المصعب الزبيري ١٥٦ – ٢٣٦ هـ
- نسب قريش – القاهرة – دار المعارف ١٩٥١م.
٢٣- ابن سعد:- محمد بن سعد بن منيع الزهيري البصري – توفى – ٢٣٠ هـ / ٨٤٥م.
- الطبقات الكبرى – طبعة ليدن – ١٣٢٢ هـ.
٢٤- السمعاني:- أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني – ت٥٦٢ هـ / ١١٦٦م.
- الأنساب – الطبعة الثانية – بيروت – مطبعة محمد أمين.
٢٥- السيوطي:- الإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي – ٨٤٩ – ٩١١هـ
- تاريخ الخلفاء – تحقيق محمد عبد الحميد – القاهرة – مطبعة السعادة.
- الوسائل في معرفة الأوائل – تحقيق إبراهيم العدوي – القاهرة – مكتبة خانجي.
٢٦- ابن الشحنة: محب الدين محمد بن الشحنة الحلبي.
- الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب – بيروت – المطبعة الكاثوليكية – ١٩٠٩م.
٢٧- الشهر ستاني: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهر ستاني ٤٧٩ / ٥٤٨ هـ.
- الملل والنحل – تحقيق محمد سيد كيلاني – بيروت – دار المعرفة – ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
٢٨- ابن طباطبا:- محمد بن على بن طباطبا –
- الفخري في الآداب السلطانية – القاهرة – مطبعة الموسعات – ١٣١٧ هـ.
٢٩- الطبري:- محمد بن جعفر الطبري – ت ٣١٠ / ٩٢٢ هـ.
- تاريخ الأمم والملوك – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – الطبعة الخامسة – القاهرة – دار المعارف.
٣٠- ابن عبد البر:- أبو عمر يوسف عبد الله بن محمد بن عبد البر.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب – تحقيق محمد البجاوي – القاهرة – مكتبة نهضة مصر.
٣١- ابن العربي: القاضي – أبي بكر بن العربي – ٤٦٨ / ٥٤٣ هـ.
- العواصم من القواصم تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلي الله عليه وسلم –
٣٢- ابن عساكر: أبو القاسم على بن الحسن بن وهبه الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر.
- تاريخ دمشق – دمشق – المجمع العلمي.
٣٣- العسقلاني:- شهاب الدين أحمد بن على بن محمد ابن العسقلاني – ٨٥٢/٧٧٣هـ.
- الإصابة في تمييز الصحابة – تحقيق محمد على البجاوي – القاهرة – نهضة مصر.
٣٤- أبو الفداء:- عماد الدين إسماعيل بن نور الدين توفى ٧٣٢ هـ / ١٣٣٢م.

- تقويم البلدان – تحقيق ماك ديسيلان – باريس – المطبعة السلطانية – ١٨٤٠م.
٣٥- ابن الفقيه:- أبو بكر أحمد بن محمد الهمداني المعروف بابن الفقيه.
- مختصر كتاب البلدان – طبعة ليدن – مطبعة بريل – ١٣٠٢ هـ.
٣٦- القزويني:- زكريا بن محمد بن محمود القزويني.
- أثار البلاد وأخبار العباد – المكتبة التجارية ـ القاهرة ١٩٥٤م.
٣٧- القلقشندي:- أبو العباس أحمد بن عبد الله القلقشندي (٧٥٦ / ٨٢٠ هـ).
- صبح الأعشى في صناعة الإنشا – القاهرة – دار الكتب المصرية – ١٩٢٢م.
- مآثر الإناقة في معالم الخلافة – تحقيق عبد الستار فرج – بيروت – مطبعة عالم الكتب.
٣٨- ابن كثير:- أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي – ت ٧٤٣ هـ / ١٣٧٢م.
- تفسير القرآن العظيم – القاهرة – مطبعة مصر.
- البداية والنهاية – تحقيق أحمد عبد الوهاب فتيح – الطبعة الخامسة – القاهرة – دار الحديث – ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨م.
٣٩- الكوفي: أحمد بن محمد بن أعثم الكوفي – ت ٣٧٤ هـ / ٩٢٦م.
- الفتوح – الطبعة الأولي – بيروت – دار الندوة الجديدة.
٤٠- المسعودي:- أبو الحسن على بن الحسن بن على ت – ٣٤٦ هـ / ٩٤٥م:-
- مروج الذهب:- تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد – بيروت – المكتبة الإسلامية.
٤١- المقدسي:- شمس الدين أبي عبد الله بن محمد بن أبي بكر المقدسي البشاري –
- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم – الطبعة الثانية – طبعة ليدن – ١٩٠٩م.
٤٢- ابن نباته:- جمال الدين محمد بن نباته المصري – ت – ٧٦٨ هـ / ١٣٦٧م.
- سرح العيون شرح رسالة ابن زيدون – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – بيروت – المكتبة المصرية – ١٩٨٨م.
٤٣- النويري:- أحمد بن عبد الوهاب بن محمد البكري التميمي القرشي النويري –
- نهاية الأرب في فنون الأدب – القاهرة – دار الكتب المصرية – ١٩٢٢ م.
٤٤- الهمداني:- أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن داود الهمداني ت – ٣٣٤ – ١٣٩.
- صفة جزيرة العرب – القاهرة – مطبعة السعادة.
٤٥- الواقدي:- أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدي – ت ٢٠٧ هـ / ٨٢٢م.
- فتوح الشام ـ القاهرة ـ مكتبة النهضة.
٤٦- ابن الوردي:- سراج الدين أبي حفص عمر بن الوردي.
- خريدة العجائب وفريدة الغرائب – القاهرة – مطبعة مصطفي الحلبي – ١٩٣٩م.

٤٧- اليافعي:- ابو محمد عبد الله بن سعد بن على بن سليمان اليافعي – ٧٦٨ هـ / ١٣٦٧م.
– مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان – الطبعة الثانية – القاهرة – مطبعة الفاروق الحديثة – ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣م.
٤٨- اليعقوبي:- أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي – ت – ٢٨٤ هـ / ٨٩٧م.
– تاريخ اليعقوبي: بيروت – دار بيروت للطباعة – ١٩٨٠م.
– كتاب فتوح البلدان – طبعة ليدن – ١٨٩١م.

ثانياً: المراجع العربية والمترجمة:

(أ): المصادر العربية:

١- إبراهيم العدوى:
– الأمويون والبيزنطيون في شرق البحر المتوسط – القاهرة – مكتبة الأنجلو المصرية.
٢- أسد رستم:
– الروم في سياستهم وحضارتهم وثقافتهم ودينهم وصلاتهم بالعرب – الطبعة الأولي – بيروت – دار المكشوف.
٣- حامد غنيم أبو سعيد:-
– انتشار الإسلام حول بحر قزوين – القاهرة – ١٩٧٤ م.
٤- حسن إبراهيم حسن:-
– تاريخ الإسلام السياسي – القاهرة – المكتبة التجارية – ١٩٣٥ م.
٥- حسن أحمد محمود:-
– الإسلام في أسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي – القاهرة – الهيئة المصرية العامة للكتب – ١٩٧٢م.
٦- الحيدرآبادي:- محمد حميد الله الحيدرآبادي:-
– مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة – القاهرة – مطبعة لجنة التأليف.
٧- حي: سعيد الديوه حي:
– تاريخ الموصل – بغداد – المكتبة الوطنية – ١٩٨٢م.
٨- خانجي – أمين خانجي:-
– منجم العمران في المستدرك عغلى معجم البلدان – الطبعة الأولي – ١٩٠٧م.
٩- دحلان – أحمد زيني دحلان:-

- الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية – القاهرة – المطبعة الحسينية المصرية – رزق الله

١٠- رفيق – العظم:-

- أشهر مشاهير الإسلام في الحرب والسياسة – الطبعة الثانية – القاهرة – دار الفكر العربي.

١١- الزركلي: خير الدين الزركلي:

- الأعلام – القاهرة- المطبعة العربية ١٩١٧م.

١٢- الساداتي: أحمد محمود الساداتي –

- محاضرات في تاريخ الدولة الإسلامية بآسيا الوسطي – القاهرة – دار نافع للطباعة – ١٩٧٦م.

١٣- السيد الباز العريني:-

- الدولة البيزنطية – القاهرة – دار النهضة العربية – ١٩٣٧ م.

١٤- السيد عبد العزيز سالم:-

- تاريخ العرب منذ ظهور الإسلام حتى سقوط الدولة الأموية – القاهرة – مؤسسة الثقافة الجامعية ١٩٧٤م.

١٥- صابر محمد دياب:

- أرمينية من الفتح الإسلامي حتى مستهل القرن الخامس الهجري – القاهرة – ١٣٩٨هـ / ١٩٧٧م.

١٦- عبد الشافي عبد اللطيف (الدكتور).

- العالم الإسلامي في العصر الأموي ــ القاهرة ١٩٨٤م.

١٧- عبد الوهاب النجار:

- تاريخ الإسلام: الخلفاء الراشدون – القاهرة – المطبعة السلفية.

١٨- فايز نجيب اسكندر:-

- الفتوحات الإسلامية لأرمينية – إسكندرية – ١٩٨٨م.

- الفتوحات الإسلامية لبلاد الكرج – إسكندرية – ١٩٨٨.

١٩- فؤاد حسن حافظ:-

- تاريخ الشعب الأرميني منذ البداية حتى اليوم – ١٩٨٦م.

٢٠- مروان المدور:-

- الأرمن عبر التاريخ – الطبعة الأولي – بيروت – مكتبة الحياة – ١٩٨٢م.

٢١- وسام عبد العزيز فرج:-

- العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية – الإسكندرية – فرع الهيئة المصرية العامة للكتب.

(ب): **المراجع المترجمة**:

٢٢- أ. س. ترتون:-
- أهل الذمة في الإسلام – ترجمة حسن حبشي – القاهرة – مطبعة الاتحاد.
٢٣- جاك مورجان:-
- تاريخ الشعب الأرميني – بدون بيانات.
٢٤- جوناتوقة:- يوسف عزت باشا:-
- تاريخ القوقاس – تعريب خوستوفه عبد الحميد غالب – القاهرة – مطبعة عيسي البابي الحلبي ١٣٥٢ هـ/ ١٩٣٣م.
٢٥- دونالد ولبر:-
- إيران ماضيها وحاضرها – ترجمة عبد المنعم إبراهيم الشواربي – القاهرة – مطبعة مصر – ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٨م.
٢٦- ك. ل ستارجيان:-
- تاريخ الأمة الأرمينية من القرن السابع قبل الميلاد إلي نهاية النصف الأول من القرن العشرين – الموصل – مطبعة الاتحاد الجديدة – ١٩٥١م.
٢٧- كيستلر:-
- القبيلة الثالثة عشرة.
٢٨- لي استرنج:-
- بلدان الخلافة الشرقية – ترجمة بشير فرانسيس / كوركيس عواد – بيروت – مؤسسة الرسالة.
٢٩- كرايستنسن أرثر:-
- إيران في عهد الساسانيين – ترجمة يحي الخشاب – القاهرة – مطبعة لجنة التأليف والترجمة – ١٩٥٧م.